الملك يلهو

مأساة من خمسة فصول

أشخاص المسرحية

الملك فرنسوا الأول
تريبوليه
بلانش
السيد دى سان فالييه
سالتا باديل
ماجلون
كليمان مارو ـ الشاعر
السيد دى بين
السيد دى جورد
السيد دى باراديان
السيد دى بريون
السيد دى مونشو
السيد دى مونمو رانسى
السيد دى كوسيه
السيد دى لاتور لاندرى
السيد دى فيك
السيدة دى كوسيه
السيدة بيرارد
نبيل فى خدمة الملكة
حاجب فى خدمة الملك
طبيب
طائفة من النبلاء
جمهرة من عامة الشعب

الفصل الأول

السيد دى سان فالييه

حفل ساهر فى قصر اللوفر • تزخر القاعات الفخمة بلفيف من الرجال والنســاء فى ابهى ثياب • مشاعل وموسيقى ورقص وضحكــات مدوية • يحمـل التبع صحــافا من الذهب وآنية مرصعة بالميناء • جماعات من النبــلاء والسيدات فى غدو ورواح • يوشك الحفل على نهايته وتضيىء تباشير الفجر زجاج النوافذ • يسود الحفل قدر من التحرر ويشوبه تبذل وافراط • المبنى والأثاث والمــلابس من طراز عصر النهضة •

المشــهد الأول

الملك كما رسمه المصور تسيان ـ السيد دى لاتور لاندرى

الملك : أود أن أمضى فى هذه المغامرة الى نهـاية الشوط أيها الكونت . انها ولا شك امرأة من أواسط الناس ، غامضة الحسب والنسب . غير أنها رائعة خلابة !

السيد دى لاتور لاندرى : أو تلقاها فى الكنيسة يوم الأحد ؟

الملك : بل فى « سان جرمان دبيريه » . اننى أذهب هناك أيام الآحاد .

السيد دى لاتور لاندرى : وها قد مضى على تلك الحال شهران ؟

الملك : نعم .

السيد دى لاتور لاندرى : وأين عشها الجميل ؟

الملك : فى « كيل ديساك بوسى » .

السيد دى لاتور لاندرى : أهو على مقربة من قصر كوسيه ؟

الملك : (مومئا بالايجاب) فى البقعة التى تضم السور الكبير .

السيد دى لاتور لاندرى : آه ! عرفت . وهل تلاحقها يا مولاى ؟

الملك : هناك عجوز ضارية تلازمها دوما ، تقوم على حراسة عينيها وأذنيها وفمهـــا .

السيد دى لاتور لاندرى : أحق ما تقول ؟

الملك : وأعجب ما فى الأمر أن ثمة رجل مريب الهيئة يدلف الى تلك الدار وقد اتشح من قمة رأسه الى أخمص قدميه بعباءة حالكة السواد ، وتسربل بسدول الليل البهيم . حتى يزوغ بين حجب الظلام .

السيد دى لاتور لاندرى : حسنا . عليك أن تفعل مثلما يفعل !

الملك : ماذا تقول ؟ ان الدار موصـــدة ، والأســـوار تقف فى وجه من يقترب .

السيد دى لاتور لاندرى : وهل أشعرتك يوما ـ يا مولاى ـ باستجابتها وأنت تلاحقها ؟

الملك : بل اننى أرى من بعض نظراتها – دون ثمة خطأ فى تقديرى – ما لا ينم عن فزعها منى ٠

السيد دى لاتور لاندرى : وهل تعلم بأن الملك يهيم بها حبا ؟

الملك : (يؤمىء بالنفى) اننى أتنكر فى رداء من الصوف وقبــاء رمادى اللون ٠

السيد دى لاتور لاندرى : (ضاحكا) أرى أنك تحبها حبا عفيفا كما أحب القس السيدة « توانون » الورعة !

(يدخل لفيف من النبلاء وتريبوليه) ٠

الملك : (مخاطبا السيد دى لاتور) صه ! اننى أسمع قادما ، ومن يبتغى التوفيق فى دنيا الحب فعليه أن يعرف الصــمت ٠ (يلتفت الى تريبوليه وكان هــذا الأخــير يقترب منه وهو يفوه بتلك العبارة فسمعها) أليس كذلك ؟

تريبوليه : ان الكتمان لهو الستار الوحيد الذى يكفل الأمان لنزوات الحب ٠

المشــهد الثانى

الملك – تريبوليه – السيد دى جورد – لفيف من النبلاء – النبلاء فى ثياب فاخرة ، تريبوليه فى زى المهرج كما رسمه المصور « بونيفاس » يتطلع الملك الى سرب من النساء يمر ٠

السيد دى لاتور لاندرى : أرأيتم الى السيدة فاندوم وحسنها العلوى !

السيد دى جورد : والسيدتان آلب ومونشفروى على جمال فارط ٠

الملك : أما السيدة دى كوسيه فتبز الثلاث ٠

السيد دى جورد : السيدة دى كوسيه ! اخفض صوتك يا مولاى (مشيرا الى السيد دى كوسيه وهو يمر فى مؤخرة المسرح ٠ انه رجل قصير

القامة عظيم البطن ، وهو واحد من أربعـة هم أضخم نبلاء فرنسا (كما يقول برانتوم) ان زوجها يسمعك ·

الملك : رويدك يا عزيزى سيميان · اننى لا آبه لذلك !

السيد دى جورد : سوف يفضى بما سمع الى السيدة ديان ·

الملك : اننى لا آبه لذلك ! (يمضى الى مؤخرة المسرح ويتحدث الى نساء أخريات يمرون) ·

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى جـورد) ســتغضب لهـذا ديان دى بواتييه · انه لا يخاطبها منذ ثمانية أيام ·

السيد دى جورد : ترى سيعيدها الى زوجها ؟

تريبوليه : لا أظن ذلك ·

السيد دى جورد : لقد دفعت ثمن العفو عن أبيها ، فان ذهبت فلن تكون مريبة ·

تريبوليه : وعلى ذكر السيد دى سان فالييه ، ترى أية فكرة راودت هذا العجوز الفريد فى بابه فجعلته يجمع فى فراش واحد هذا الخليط العجيب ، بزواج فتاته ديان ــ تلك الحسناء الأثيرة الشفيفة ــ بل ذلك الملك الذى تلقفته الأرض من السماء من ضابط أحدب ؟

السيد دى جورد : انه عجوز مخرف ، بل عجوز فظ على وجهه غبرة · لقد كنت على منصة اعدامه حين تلقى نبأ العفو عنه ، وكنت أقرب اليه منى اليك الآن ، فلم ينبس ببنت شقة · اللهم الا قوله : ليحفظ الله الملك ! لقد فقد الآن صوابه تماما ·

الملك : (مارا وبرفقته السيدة دى كوسيه) يا لك من مخلوقة خلت من الانسانية ! أتتركينى هكذا ؟

السيدة دى كوسيه : (متنهدة فى أسى) الى مدينة سواسون حيث يمضى بى زوجى ·

الملك : أو ليس من المشين أن ترحلى غير عابئة بأمير أو ملك ، لتتألقى أيتها الشمس فى سماء الريف ، بينما باريس بأسرها ــ كبار نبلائها ومفكريها ــ يرنون اليك بأعين تفيض رغبة وحبا ، بينما تعيشين أروع لحظات حياتك الجميلة ، حيث يدخر لك أرباب الشعر والسيف أجمـل القريض وأقوى ضربات الطعان ، بينما تشـــع

عيناك الجميلتان لهبا فى كل مكان ، فتأرق جفون زوجات المعجبين جميعا ، بينما تبهرين القصر بسنى لحاظك ، فاذا ما غابت تلك الشمس ارتاب المرء فى وضوح النهار !

السيدة دى كوسيه : هدىء من روعك !

الملك : لا ، لا ، لا شيء · يا لها من نزوة عجيبة جعلتك تطفئين أنوار الثريا فى منتصف الحفل ·

(يدخل السيد دى كوسنيه) ·

السيدة دى كوسيه : ها هو ذا زوجى الغيور يا مولاى ! (تنأى عن الملك مسرعة) ·

الملك : تبا له ! ليقبض الشيطان روحه ! (مخاطبا تريبوليه) لم يفتنى أن أكتب غزلا فى زوجه · ألم يطلعك « مارو » على آخر ما نظمت ؟

تريبوليه : اننى لا أقرأ شعرك ، فان شعر الملوك دوما أردأ الشعر ·

الملك : يا لها من دعابة !

تريبوليه : (بغير انفعال) لتنظم القوافى سفلة القوم ، فهذا أمر محتمل· أما أنت فلك أسهمك المنوعة فى دنيا الجمال · عليك يا مولاى غزو الخدور ، وعلى «مارو» أن يصوغ الشعر ، وكل عاهل يقرض الشعر انما يحط من قدر نفسه ·

الملك : ولكن التشبب بالحسان يسمو بالوجدان · ليتنى أضع جناحين على قمة برج قصرى ·

تريبوليه : لتجعل منه طاحونة !

الملك : كنت سآمر بضربك بالسياط لولا أننى أرى ها هنا السيدة دى كوازلان ·

(يهرع الى السيدة دى كوازلان وينشدها عبارات الغزل)

تريبوليه : (محدثا نفسه) امض مع الريح التى تحملك الى هذه أيضا !

السيد دى جورد : (يدنو من تريبوليه ويوجه انتباهه الى ما يدور فى مؤخرة القاعة) ها هى ذى السيدة دى كوسيه تدلف من الباب الآخر · اننى أقسم بأنها ستسقط قفازها كى يلتقطه الملك لنرقب الموقف ·

(تنظر السيدة دى كوسيه بازدراء الى محاولات الملك لاغراء السيدة

دى كوازلان ثم تسقط باقتها عمدا ، فيترك الملك السيدة دى كوازلان ويلتقط باقة السيدة دى كوسيه ، ويسترسل معها فى حديث يبدو عاطفيا حارا) ٠

السيد دى جورد : (مخاطبا تريبوليه) ألم أتوقع ما أرى ؟

تريبوليه : يا له من أمر عجيب !

السيد دى جورد : ها قد تردى الملك فى الشرك ٠

تريبوليه : ان المرأة شيطان داهية ٠

(يطوق الملك خاصرة السيدة دى كوسيه ويقبل يدها ، فتضحك وتثرثر فى مرح ٠ يدخل السيد دى كوسيه بغتة من باب المؤخرة ٠ يوجه السيد دى جورد انتباه تريبوليه الى دخوله ٠ يتوقف السيد دى كوسيه ويحملق فى الملك وفى زوجه) ٠

السيد دى جورد : (مخاطبا تريبوليه) ها هو ذا الزوج !

السيدة دى كوسيه : (تلمح زوجها ٠ فتخاطب الملك وهو يكاد يحتويها بين ذراعيه) لنفترق !

(تنسل من بين يدى الملك وتفر) ٠

تريبوليه : ما الذى أتى بهذا البدين الغيور الى هنا ؟

(يدنو الملك من مقصف فى المؤخرة ويتناول قدحا)

السيد دى كوسيه : (يمضى فى القاعة كما الحاكم ويحدث نفسه) ترى عما يتحدثان ؟ (يقترب فى خفة من السيد دى لاتور لاندرى ٠ فيومىء هذا اليه بأن لديه ما يقول له) ماذا ؟

السيد دى لاتور لاندرى : (كمن يفضى بسر) ما أجمل زوجك !

(يمتعض السيد دى كوسيه ثم يمضى الى السيد دى جورد ، فيبدو هذا الأخير كأنما يود أن يسر اليه بأمر ما) ٠

السيد دى جورد : (فى صوت خفيض) ما الذى يدور بخلدك ؟ لم تسترق النظر طويلا الى هذه الناحية ؟ (ينأى عنه السيد دى كوسيه وهو مستاء ، فيلقى نفسه وجها لوجه أمام تريبوليه فيجذبه الأخير بحذر الى ركن من أركان القاعة ، بينما السيدان دى جورد ودى لاتور لاندرى يضحكان ملء شدقيهما) ٠

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى كوسيه بصوت خفيض) سيدى ، يبدو عليك الانفعال الشديد !

(ثم ينفجر ضـاحكا ويدير ظهره للسـيد دى كوسيه ، فينصرف **الأخير ثائرا)** ٠

الملك : (عائدا) ما أسـعدنى ! لم يكن هرقل وجوبيتر سـوى دعيين مضحكين اذا ما قورنا بى ، وما جنة الخلد سوى كوخ حقير ٠ أما النساء فما أشد سحرهن ! حقا اننى جد سعيد ٠ وأنت ؟

تريبوليه : فى منتهى السعادة ٠ اننى أسخر فى سرى من الرقص واللهو والحب الزائف ٠ اننى أتولى النقد ، ولك أنت المتعة ٠ انك يا مولاى سعيد كملك ، وأنا سعيد كمهرج ٠

الملك : ياله من يوم أغر ، يـوم حملت بى أمى وهى ضاحكة ! (يشهد انصراف السيد دى كوسيه) هذا المدعو دى كوسيه هو وحده الذى يعكر صفو الحفل ٠ كيف تراه ؟

تريبوليه : على غباء مشين ٠

الملك : دعنا من ذلك ٠ كل شىء يروق لى ما عدا هذا الرجل الغيور ! اننى أقدر على كل شىء وأشتهى كل شىء ، وأظفر بكل شىء ! ما أسعد المرء بالحياة اذا طابت له أسبابها ! يا للسعادة !

تريبوليه : فى يقينى يا مولاى أنك ثمل ٠

الملك : ولكنى ألمح هناك ٠٠ العينين النجلاوتين والساعدين الجميلين ٠

تريبوليه : أتعنى السيدة دى كوسيه ؟

الملك : هيا معى ٠ وعليك حراستنا !

(يغنى) **دامت أيام الأحاد المرحة**

بين شعب باريس الفرحه

حيث البيض العذارى

تريبوليه : (يغنى) والرجال السكارى

(ينصرفان ، ويدخل لفيف من النبلاء) ٠

المشـــهد الثالث

السيد دى جـورد ـ السـيد دى باراديان ـ حاجب أشقر شاب ـ السيد دى فيك ـ الشاعر كليمان مارو فى زى رجال البلاط ـ السيد دى بيين ـ نبيل أو نبيلان آخران · يتردد السيد دى كوسيه بين الفينة والفينة · ويبدو حالما بادى الهم والتفكير ·

كليمان مارو : (محييا السيد دى جورد) ما وراءك الليلة من أنباء ؟

السيد دى جورد : لا شىء · سوى أن الحفل كان رائعا وأن الملك يلهو ·

مارو : آه · يا له من نبأ ! الملك يلهو ؟ يا للشيطان !

السيد دى كوسيه : (مارا خلفهما) هذا ما يدعو للرثاء · لأن الملك الذى يلهو هو ملك خطير · (يبتعد) ·

السيد دى جورد : ان دى كوسيه ، هذا البدين التعس ، ليثير فى نفسى بالغ الحزن ·

مارو : (فى صوت خفيض) يبدو أن الملك دؤوب على مغازلة زوجه ·

(يومىء اليه السيد دى جورد بالايجاب · يدخل السيد دى بيين)

السيد دى جورد : ها هو ذا الدوق العزيز ! (يتبادلان التحية)

السيد دى بيين : (كأنما يسر بخبر) أيها الصحاب ! لقد جئتكم بخبر طريف ! خبر تحار فيه أسخى العقول حكمة ! خبر يثير الدهشـــة والضحك ! خبر عاطفى ! خبر محال !

السيد جورد : ترى ما هو ؟

السيد دى بيين : (يضم شملهم حوله) سكوت !
(مخاطبا مارو وكان قد مضى يتحدث الى آخرين فى ركن من أركان القاعة) تعال هنا يا أستاذ كليمان مارو !

مارو : (مقتربا) ماذا يبغى منى سيدى ؟

السيد دى بيين : انك مغفل كبير ٠

مارو : لم أكن أظن أننى كبير على أى نحو ٠

السيد دى بيين : لقد قرأت فى قصيدتك عن حصار «بشيير» هذه الأبيات فى وصف تريبوليه :

« معتوه ذو رأس كسير القرنين ٠ لديه من الحكمة وهو فى الثلاثين ما كان له يوم ولدته أمه انك مغفل كبير » ٠

مارو : لتحل بى لعنة كيوبيد ان كنت أفهمك !

السيد دى بيين : وهو كذلك ٠ (مخاطبا السيد دى جورد) يا سيد دى سيميان ٠ (مخاطبا السيد دى باراديان) وأنت يا سـيد دى باراديان ٠

(تلتف حول الدوق حلقه تشمل السيد دى جورد والسيد دى باراديان ومارو ثم السيد دى كوسيه وقد أتى لينضم للجماعة) ٠

ان أمرا غريبا قد حدث لتريبوليه ٠ أرجو أن تحزروا ما هو ؟

السيد دى باراديان : ترى قد أستقام عوده ؟

السيد دى كوسيه : أنصب مشيرا للجيش ؟

مارو : أقدم مطهيا على مائدة طعام ؟

السيد دى بيين : كلا ٠ بل الأمر أفكه من ذلك ٠ ان لديه ـ تكهنوا بما لديه ، شىء لا يصدقه عقل ٠

السيد دى جورد : مبارزة مع جارجانتوا !

السيد دى بيين : كلا ٠

السيد دى باراديان : قرد أشد قبحا منه ؟

السيد دى بيين : كلا ٠

مارو : جيب ملىء بالدنانير ؟

السيد دى كوسيه : وظيفة الكلب أمام أسياخ الشواء الدائرة ؟

مارو : موعد مع العذراء فى الجنة ؟

السيد دى جورد : روح مثلا ؟

السيد دى بيين : خمنوا ٠ تريبوليه المهرج ، تريبوليه الأشوه ٠ أمعنوا الفكر فيما قد يكون لديه ٠ انه شىء هائل ٠

مارو : حدبته ؟

السيد دى بيين : كلا ! ان له ٠٠٠ حزروا ، ان له خليلة ٠

(ينفجر الجميع ضاحكين)

السيد دى باراديان : يا لها من قصة تروى !

السيد دى بيين : أقسم لكم بجوارحى ـ أيها السادة ـ على صدق ما أقول، وسأريكم دار هذه السيدة ٠ انه يحج اليها كل أمسية ، متشحا بمعطفه المصفر ، وعلى وجهه امارت التهجم الغضب ، كأنه شاعر جوعان ٠ أردت أن أمكر به ، وبينما كنت أجول على مقربة من قصر كوسيه ، وقد أرخى الليل سدوله ، كشفت هذا الأمر ، وعليكم أن تصونوا السر ٠

مارو : يا له من موضـوع رائع لقصيد يغنى ! ماذا أسـمع ؟ أيتحول تريبوليه ليلا الى عاشق ؟

السيد دى باراديان : (ضاحكا) أهناك امرأة يقترن ذكرهـا بالسيد تريبوليه ؟

السيد دى جورد : (ضاحكا) سرج على جواد من خشب !

مارو : (ضاحكا) أعتقد أن لدى هذه السيدة المصونة كل ما يكفل طرد الانجليز اذا ما ألقى ثمة خليفة « لبدفورد » مراسيه فى كاليه !

(يضحك الجميع ٠ يظهر السيد دى فيك فجأة ، فيضع السيد دى بيين أصبعه على فمه)

السيد دى بيين : صه !

السيد دى باراديان : (مخاطبا السيد دى بيين) بم تفسر أيضا خروج الملك وحده كل يوم عند الغسق كأنما يفتش عن كنز ؟

السيد دى بيين : سينبئنا عن ذلك دى فيك

السيد دى فيك : أستهل ما أعلم بأن أذكر لكم أن صاحب الجلالة يبدو غارقا فى لهوه ومجونه ٠

السيد دى كوسيه : (متنهدا فى أسى) لا تحدثنى عن ذلك !

السيد دى فيك : ولكن الذى يشغل فكرى هو الى أى اتجاه تدفع الريح نزوته ؟ لم يخرج مساء ملتفا بعباءته الشتوية ، متنكرا فى زيه ومظهره تماما ؟ وان كان الأمر لا يعنينى أيها الصحاب اذا ما اتخذ من النوافذ أبوابا ، فأنا لست متزوجا ٠

السيد دى كوسيه : (هازا رأسه) ان الملوك تستلب دوما ـ أيها السادة ـ كل ما لدى الغير من متع الدنيا ، وذلك ما يعلمه كهول النبلاء · ليحذر كل من له أخت أو زوج أو ابنة تغرى ، فمن بيدهم السلطان لا يفكرون فى لهوهم الا فى الضر · ان الأمر لينطوى على كثير من المخاوف ، ومن الثغر الباسم تتكشف الأسنان جميعا !

السيد دى فيك : (مخاطبا الآخرين بصوت خفيض) ما أشد خشيته من الملك !

السيد دى باراديان : وان زوجه الفاتنة لأقل منه خشية ·

مارو : وذلك ما يروعه ·

السيد دى جورد : لقد جافيت الصواب يا كوسيه ، فمن الأهمية بمكان أن يظل الملك دائما مرحا ، متلافا ، لاهيا ·

السيد دى بيين : (مخاطبا السيد دى جورد (انى أرى ما تراه يا كونت · فمثل الملك السؤوم كمثل فتاة تتشح بالسواد أو كصيف غزير المطر ·

السيد دى باراديان : كحب بلا مبارزة

السيد دى فيك : كقنينة ملأى بالماء

مارو : (بصوت خفيض) ها قد عاد الملك ومعه ملاك الحب تريبوليه !

(يدخل الملك وبصحبته تريبوليه ، فتبتعد الحاشيه باحترام)

المشــهد الرابع

اشخاص المشهد السابق ـ الملك ـ تريبوليه

تريبوليه : (يدخل وكأنما يواصل حديثا مستمرا) علماء فى القصر ؟ يا لها من بشاعة منقطعة النظير !

الملك : دع شقيقتى ـ أميرة نافار ـ تصغى لنداء العقل · انها تريد أن تحيطنى بالعلماء ·

تريبوليه : بينى وبينك ـ عليك أن تسلم بأننى لم أفرط فى الشراب

مثلك ، ومن ثم أرى أننى أفضلك يا مولاى بميزة أو بميزتين فى صدق الحكم على الأشياء من حيث نتائجها وأسبابها جميعا ، أولهما أننى لست ثملا والأخرى أننى لست ملكا ــ ليحل بقصرك الطاعون والحمى وغيرهما من الأوبئة ، وذلك أفضل من أن يحل فيه العلماء !

الملك : يا له من رأى يعافه الذوق السليم ، اذ تريد شقيقتى أن تحيطنى بالعلماء !

تريبوليه : هذا أمر كريه يصدر عن أخت ٠ فما من دابة فى الأرض : غراب شره أو ذئب أو بوم أو أوزة أو عجل أو حتى شاعر ٠ بل ما من فقيه أو قاض أو دب أو كلب أقبح منظرا وأكثف شعرا وأزرى شكلا وأكثر تشبعا باللا معقول ، بل أشرس وأقذر وأشد غرورا من هذا الحمار المبردع الذى يلقب بالعـــالم ! أتنقصك المباهج والسلطان والغزوات والغيد الحسان ، تعطر بها مغانيك ؟

الملك : لقد أسرت الى شقيقتى مرجريت ذات مساء بأن النساء لسن على الدوام بالنسبة لى كل شىء ، وأننى حينما ينتابنى السأم ٠٠

تريبوليه : يا له من دواء عجيب ! أن نلتمس مشورة العلماء حين السأم ! ان سيدتى مرجريت تشايع دوما زمرة المتزمتين ٠

الملك : حسنا ٠ لا داعى للعلماء ٠ ولكن خمسة من الشعراء أو ستة ٠٠

تريبوليه : لو كنت يا مولاى موضعك لكان خوفى من شاعر واحد وصمته القوافى أشد من خوف « بلزيبوث » من مرشة مبللة ٠

الملك : خمسة أو ستة ٠٠٠٠

تريبوليه : خمسة شعراء أو ستة ، تلك لعمرى حظيرة برمتها ! انه مجمع أو حديقة حيوان ! (مشيرا الى مارو) ألا يكفى ما نعانيه من مارو حتى نسم أبداننا بشعراء على شاكلته ؟

مارو : شكرا جزيلا ٠ (مخاطبا نفسه) خير لهذا المهرج أن يغلق فاه !

تريبوليه : النساء يامولاى وما أدراك ما النساء ! هن الأرض وهن السماء ، هن كل شىء فى الوجود ، ولكنك تملك النساء ، ان لديك النساء فدعنى لحالى ٠ انك تهذى حين تريد العلماء !

الملك : أقسم بشرفى أن اهتمامى بهــذا الأمر لا يعدو اهتمام السمك بالتفاح ٠

(ضحكات مدوية تصدر عن جماعة فى مؤخرة القاعة ، فيخاطب الملك تريبوليه) هاك بعض شباب النبلاء يسخرون منك ·

(يمضى تريبوليه فينصت اليهم ثم يعود أدراجه)

تريبوليه : كلا ، بل هم يسخرون من مهرج آخر ·

الملك : سحقا لهم · ممن يسخرون اذن ؟

ريبوليه : من الملك

الملك : حقا ؟ وماذا يرددون ؟

تريبوليه : انهم يقولون يا مولاى أنك بخيل ، وأن الحظوة والمال لنافار ، وما من شيء يؤدى لهم ·

الملك : أجل · انى آراهم من مكانى هذا ، أرى الثلاثة جميعا : مونشينو وبريون ومونمورانسى ·

تريبوليه : تماما ·

الملك : ما أبغض سلالتهم هؤلاء النبلاء ! لقد نصبت أحدهم أميرا للبحر والثانى مشيرا للجيش · أما ثالثهم فقد جعلته مديرا لقصرى ، ومع ذلك هم يعربون عن استيائهم · أرأيت لهذا مثيلا من قبل ؟

تريبوليه : ولكنك قادر على أن تعلى من قدرهم ، وفى ذلك انصاف لهم ·

الملك : وكيف ؟

تريبوليه : بأن تأمر باعدامهم !

السيد دى بيين : (يضحك ، ثم يتحدث الى النبلاء الثلاثة القابعين فى مؤخرة القاعة) أسمعتم أيها السادة ما قال تريبوليه ؟

السيد ذى بريون : (يرمى المهرج بنظرة حانقة) سمعت ولا شك ·

السيد دى موغورانسى : وسيدفع الثمن غاليا ·

السيد مونشينو : يا له من تابع حقير !

تريبوليه : (مخاطبا الملك) ولكنك يا مولاى لابد وأن تشعر أحيانا بفراغ فى قرارة نفسك ·· اذ لا تجد من حولك امرأة واحدة تقول لك عينها لا ، ويقول لك قلبها نعم ·

الملك : ماذا تعنى بما تقول ؟

تريبوليه : ان الحب الذى ينبع من قلب بهره بريق المظهر لا يسمى حبا ·

الملك : أو تدرى أن ثمة امرأة فى هذا الوجود تضمر لى الحب لذاتى ؟

تريبوليه : دون أن تعلم من أنت ؟

الملك : نعم · (محدثا نفسه) بلا تعريض بصغيرتى الحسناء ساكنة كيل ديساك بوسى ·

تريبوليه : لعلها من أواسط الناس ؟

الملك : وأى ضير فى هذا ؟

تريبوليه : حذار يا مولاى · امرأة من أواسط الناس ! يا للسماء ! ان حبك لها ضرب من المجازفة ، فكثيرا ما يكون هؤلاء الناس كالرومان الضوارى اذا مس امرؤ ما ملكت يمينهم تخلف فى يده أثر لا تندمل: رويدك ، وحسبنا ــ ســواء منا المهرج والملك ــ زوجات نبلائك الأماثل واخواتهم ·

الملك : حسنا ، وسأكتفى بزوج دى كوسيه ·

تريبوليه : خذها لديك ·

الملك : (ضاحكا) القول سهل ميسور أما الفعل فصعب عسير ·

تريبوليه : لنختطفها الليلة ·

الملك : (مشيرا الى السيد دى كوسيه) والكونت ؟

تريبوليه : وسجن الباستيل ؟

الملك : آه · لا

تريبوليه : امنحه لقب الدوقيه · وبهذا تسوى حسابك معه ·

الملك : انه يغار كالسوقه ، وسوف يرفض أية ترضية ويملأ الدنيــا ضجيجا ·

تريبوليه : (شاردا) هذا رجل مزعج للغاية ، فاما أن تشتريه أو تنفيه · (كان السيد دى كوسيه قد اقترب منذ لحظات خلف الملك والمهرج ، فسمع ما يدور بينهما من حديث · يلطم المهرج جبينه فى ابتهاج) ولكن هناك ثمة وسيلة مريحة وسهلة وبسيطة كان على أن أفكر فيها من قبل ·

(يزداد السيد دى كوسيه اقترابا وينصت) اقطع رأس السيد دى كوسيه ·

(يتراجع السيد دى كوسيه فى ذعر بالغ) لنفترض تآمره مع روما أو أسبانيا ··

السيد دى كوسيه : (منفجرا) أواه · يا لك من شيطان صغير !

الملك : (يضحك ويربت على كتف كوسيه ثم يخاطب تريبوليه) أتفكر — بشرفك — فى ذلك ؟ فى قطع هذا الرأس ؟ أنظر الى هذا الرأس يا صديقى ، أتراه ؟ ان انبثقت منه ثمة فكرة فهى فكرة ذات قرنين !

تريبوليه : كالقالب الذى وسعها

السيد دى كوسيه : أتقطع رأسى ؟

تريبوليه : وأى ضير فى ذلك ؟

الملك : (مخاطبا تريبوليه) لقد غلوت فى استنفاره ·

تريبوليه : يا للشيطان ! أيكون المرء ملكا ليضيق صدرا بأى شىء أو يزهد نفسا فى أبسط المتع ؟

السيد دى كوسيه : تقطعون رأسى ! آه ، لقد راودنى هذا الخاطر !

تريبوليه : ان الأمر غاية فى البساطة · ما الضرورة التى تقضى بألا يقطع رأسك ؟

السيد دى كوسيه : حقا ؟ سوف أقتص منك أيها الفاجر ·

تريبوليه : اننى لا أخشاك ، فأنا محاط بأقوياء ، أشن عليهم الحرب شعواء · اننى لا أخاف شيئا يا سيدى لأننى لا أجد فوق عنقى ما أخاطر به سوى رأس مهرج · اننى لا أخاف شيئا ، اللهم الا اذا دخلت حدبتى فى جسدى ثم هبطت — كما هو حالك — فى بطنى ، ففى ذلك ما يقبح منظرى ·

السيد دى كوسيه : (واضعا يده على حسامه) خبيث !

الملك : مكانك يا كونت · هيا بنا أيها المهرج !

(يبتعد ضاحكا ومعه تريبوليه)

السيد دى جورو : ان الملك يسند جنبيه من فرط الضحك ·

السيد دى بارادیان : كم يضحك لأتفه الأسباب ، ويستسلم للضحك !

مارو : من العجيب أن نجد ملكا يلهو بشخصه ·

(حينما ابتعد الملك والمهرج ، تجمع رجال البلاط وأخذوا يشيعون تريبوليه بنظرات حاقدة)

السيد دى بريون : لنثأر من المهرج !

الجميع : ماذا ؟

مارو : انه مدرع : فمن أين يمسك ، وفى أى موضع يطعن ؟

السيد دى بيين : أعلم ذلك ، ولكنا جميعا عليه حاقدون ، وفى وسعنا أن ننتقم ·

(يقترب النبلاء جميعا من السيد دى بيين) تعالوا جميعا هـــذا المساء عند الغسق بكامل سلاحكم ! الى « كيل ديساك بوسى » على مقربة من قصر كوسيه ، واياكم أن تفوهوا بكلمة ·

مارو : لم يا ترى ؟

السيد دى بيين : أتعاهدوننى ؟

الجميع : نعاهدك

السيد دى بيين : سكوت ! انه عائد ·

(يعود تريبوليه ومعه الملك وقد أحاط به سرب من الحسان)

تريبوليه : (يتحدث الى نفسه فى ركن من أركان القاعة) على من تراهم يتآمرون الآن ؟ أعلى الملك ؟ يا للشيطان !

حاجب : (يدخل ويتحدث الى تريبوليه بصوت خفيض) عجوز يتشـح بالسواد يدعى السيد دى سان فالييه يطلب مقابلة الملك ·

تريبوليه : (يدلك يديه) يا الله ! دعنا نرى السيد دى سان فالييه · (ينصرف الحاجب) هذا بديع ! ولـكن كيف بحق الشـيطان ؟ سيثير لنا فضيحة مروعة ·

(يسمع صخب وضجيج فى المؤخرة · عند الباب الكبير)

صوت : (من الخارج) أريد التحدث الى الملك !

الملك : (مقاطعا) كلا ! من هذا ·· الذى دخل ؟

الصوت نفسه : أريد التحدث الى الملك !

الملك : (بحماس واصرار) كلا · كلا !

(شـيخ فى ملابس الحـداد يخترق الجميع ويقف أمام الملك ، يحدق فى الملك بامعان ، فينصرف رجال البلاط جميعا فى دهش وعجب)

المشـــهد الخامس

أشخاص المشهد السابق ـ السيد دى ســان فالييه فى ملابس الحداد ، وهو كهل ! اشتعلت رأسه ولحيته شيبا ٠

السيد دى سان فالييه : (مخاطبا الملك) سأتحدث اليك !

الملك : السيد دى سان فالييه ؟

السيد دى سان فاليه : (بلا حراك على عتبة البــاب) هكذا يدعوننى ٠

(يخطو نحوه الملك فى غضب ، فيوقفه تريبوليه)

تريبوليه : دعنى يا مولاى أتحدث الى هذا الرجل الطيب القلب ٠ (مخاطبا السيد دى سان فالييه بلهجة مسرحية) سيدى ، لقـد تآمرت علينا فعفونا عنك ، لأن الملك لطيف رحيم ، وهـذا فضل عظيم ، فعلام يستعر غضـبك الآن ؟ أمن أن يكون لك من صهرك المبجل حفدة ؟ ان صهرك رجل بشع المنظر سقيم البنيــان دميم الخلقة ، يصمه بروز فى منتصف أنفه ـ يقول البعض عنــه أنه أعور ، غزير الشعر ، هزيل القوام ، شاحب الوجه ؛ كبير البطن كهذا السيد (مشيرا الى السيد دى كوسيه الذى يتميز غضبا) أحـدب على شاكلتى ، وكل من رأى ابنتك الى جــواره أغرق فى الضحك ٠ فلو أن الملك لم يضع الأمور فى نصابها لكان لك حفدة عوج ، حفدة راعبون ، حمر الشعر ؛ هتم الاسنان ، ناقصو العقل؛ قبيحو المنظر ، جديرون بالسخرية ، كبيرو البطن كهذا الســـيد (مشيرا مرة أخرى الى السيد دى كوسيه ومحييــا اياه فيحتدم الأخير غيظا) وحدب على شاكلتى ! ان صهرك رائع الدمامة والقبح، فدع الملك يعمل ، وستجد لك ذات يوم حفــدة رشــقاء ينتزعون شعرات من لحيتك ويتسلقون على ساقيك (يصفق رجال الحاشية لتريبوليه ضاحكين مستهزئين) ٠

السيد دى فالييه : (دون التفــات الى المهرج) هذا مزيد من الاهانة ! أما أنت يا مولاى فاصغ الى كما ينبغى أن تصغى الملوك ! لقد أمرت

باقتيادي حافي القدمين الى مدينة « جريف » وهناك عفوت عني ، فشعرت كأنني في حلم ، وسـألت الله أن يبـاركك ، وغاب عن خاطري ما يخفيه الملوك وراء عفو منحوه · فلقد أضمرت لي العار في هذا العفو · أجل يا مولاي ، فبغير تقـدير لأصـلي العريق ، ولدم « بواتييـه » النبيل منـذ أعوام ألف ؛ وبينما أنا عائد من جريف وئيد الخطى ، داعيا من صميم قلبي اله النصر أن يمنحك عمري أياما مجيدة ، اذا بك أنت ــ فرانسوا دي فالوا ــ في مساء ذات اليوم ، ودون ثمة خشية أو رحمة أو استحياء ، قد ثلمت وحطمت وهتكت ودنست بلا مبـالاة شرف ديان دي بواتييـه ــ الكونتيس دي بريزيه ــ تحت وطأة قبلاتك المشينة ، وفي مخدعك الذي جعلته لعفة النساء قبرا ! ليت شعري ، ماذا أقول ؟ فبينما كنت أنتظر قـرار ادانتي ، سـارعت يا بنيتي الطاهرة الى قصر اللوفر ، فاذا بالملك ــ هذا الذي صوره بايار فارسا هذا الشاب الذي ينبغي له أن يسلك مسلك الشيوخ يساومك على العـار ، لقاء مزيد من الأيام ــ يعلم الله وحده عـددها ــ في حيـاة أبيك الجاثي تحت قدميه ! وهذه المنصة البشعة ، وما أبلغ ما تثير في النفس من فزع وهول ! لقد جاء الجلاد ذات صباح ليقيمها في جريف ،، وقبل أن يتولى النهار كان القرار ــ ويا للشـقاء ــ اما اذعان الفتـاة أو اعدام الأب ! رباه وأنت خير الحـاكمين ، ترى ماذا قلت في علياء سمائك ، حينما شهدت عيناك على تلك المقصلة هذه الدعارة الملكية ، متشحة بمسوح الرحمة ، رحمة ممرغة في الوحل حزينة مشبوهة ، مضرجة بالدم دنسة ؟ مولاي ؛ لقـد أسأت صنعا بفعلتك هذه ؛ لتختضب الأرض بدم الأب العجوز ، فما في ذلك من ضير · ربما كان هـذا الشيخ جـديرا بالتجلة والتقدير ، لكنه استحق جزاءك لأنه يشايع أمير الجيش ، اما أن تسلبه ابنته وتسحق تحت قدميك الظافرتين فتاة مسكينة باكيـة متطيرة ، فهذا أمر يندى له الجبين ، سوف تدرك مغبته فيما بعد ! لقد تجاوزت سلطانك بمـدى بعيد ؛ كان لك أن تفعـل في الأب ما تشاء ، أما الفتاة فلا ــ لقـد عفـوت عني وتسمى ما صنعت عفوا ، وأنني فيما أظن جاحد ناكر للجميل · لقد كان حريا بك يا مولاي ــ بدلا من أن تغتصب ابنتي ــ أن تمضي بنفسـك الى سجني ؛ كنت سأستصرخك : امتنني ولـكن أرحم فتاتي وأرحم أرومتي · نعم ؛ أسقني كأس المنون ، فالموت ولا العار ، ودق العنق

خير من وصمة شنار على الجبين ! واه — يا مولاى الملك — بما انك
هكذا لقيت ، أو تظن أن رجلا مسيحيا عريق النسب يحمل رتبة
الكونت يخف ألمه حين يفقد شرفه عوضا عن رأسه ؟

أجب يا سيدى !

ذلك ما كنت قائلة لك يا مولاى ، ومساء فى الكنيسة ، وأنا مسجى
فى نعشى المضرج بالدم ؛ تسعى الى ابنتى ديان ، تلك الفتاة الطيبة
النقية · تسعى مرفوعة الرأس ، لتصلى من أجل أبيها المبجل ،
وتقبل لحيته التى جللها المشيب ! اننى ما جئت اليك يا مولاى
لأسترد ابنتى ، فمن لا شرف له لا أهل له ، وسواء تعلقت بك أم
لم تتعلق ، فلن أسترد شيئا دمغه العار · ابقها لديك ، وحسبى
أننى آليت على نفسى أن أجىء اليك لأعكر صفوك هكذا فى كل
جمع ، وحتى يقتص لنا منك أب أو أخ أو زوج ، وهو مالابد واقع
فى يوم من الأيام ، سأسعى مكفهر الوجه الى جميع محافلك ،
لأردد على مسامعك بأنك يا مولاى قد أسأت مسلكا وأسأت صنعا،
وسوف تستمع الى ، ولن يرتفع جبينك الدنس حتى أفرغ من
كلمى ، وتود لو تسلمنى الى الجلاد حتى تكرهنى على الصمت ،
ولكن لا ، فلن تجرؤ على ذلك ، خشية أن يعود اليك شبحى فى
الغد ليتحدث اليك · (مشيرا الى رأسه) وهذا الرأس فى يده !

الملك : (يكاد ينفجر غيظا) أينسى المرء نفسه فتبلغ به الجرأة والهذيان
هذا الحد ؟ (مخاطبا السيد دى بين) أيها الدوق اقبض على
هذا السيد !

(يومىء السيد دى بين باشارة ، فيحتاط بالسيد دى سان فالييه
اثنان من رجال الحرس حاملى الرماح) ·

تريبوليه : (ضاحكا) لقد جن جنون الرجل يا مولاى !

السيد دى سان فالييه : (داعيا) لتنزل بكما لعنة السماء ! (مخاطبا
الملك) مولاى ، ليس من الشهامة أن تطلق كلبك على ليث محتضر ·
(مخاطبا تريبوليه) وأنت من تكون ؟ ما أنت سوى تابع له لسان
أفعى ، أتهزأ من لوعة أب منكوب ؟ لتنزل بك لعنة السماء !

(مخاطبا الملك) ان من حقى عليك أن تعاملنى معاملة عاهل لعاهل،

أنت ملك وأنا أب ، والسن يعدل العرش ، وكلانا يحمل على مفرقه تاجا لا ينبغي لامرىء أن يتطلع اليه شزرا . انك تحمل تاج فرنسا الذهبى وأنا أحمل تاجا من جـلال المشيب . أيهـا الملك ، حين يجترىء ثمة فاسق على اهانة تاجك ، فأنت الذى تنتقم منه ، أما تاجى فان الله وحده هو الذى يتولى الثأر له .

الفصل الثانى

سالتا باديل

زاوية قفراء فى شارع « كيل ديساك بوسى » على اليمين دار صغيرة هادئة المظهر ، ذات فناء صغير يحيط به سور يشغل شطرا من المسرح . بالفناء بضع شجرات ومقعد من حجر ، وفى السور باب يؤدى الى الطريق . فى أعلى السور شرفة ضيقة لها سقف يستند على عمد من طراز عصر النهضة . يطل باب الطابق الأرضى للدار على شرفة تصلها بالفناء درجة سلم . وعلى اليسار أسوار حديقة قصر كوسيه العالية ، وفى المؤخرة بيوت متباعدة وبرج كنيسة سان سيفيران .

المشـــهد الأول

تريبوليه وسالتنا باديل خلال شطر من المشهد• السيدان دى بيين ودى جورد قابعان فيالمؤخرة • يظهر فى الشارع تريبوليه ملتفا بمعطف وبغير لازمات المهرج • يتجه نحو باب السور فى عقبيه رجل يرتدى حلة سوداء ويتشح مثله بعبـاءة ، وقد رفع من ذراعه سيف يحمله •

تريبوليه : (حالما) لقد لعننى هذا العجوز !

الرجل : (محييا) سيدى ••

تريبوليه : (ملتفتـا فى مرح) آه •• (يفتش فى جيبه) ليس معى شىء •

الرجل : تبا لك ! اننى لا أبغى شيئا يا سيدى •

تريبوليه : (مشيرا اليه أن يدعه لشأنه وأن يبتعد) حسن جدا •

(يدخل السـيدان دى بيين ودى جورد ويتوقفان للحـديث فى المؤخرة) •

الرجل : (محييا) لقد أخطأت التقدير يا سيدى • أنا من رجال السيف •

تريبوليه : (يتراجع محدثا نفسه) ترى أهذا لص ؟

الرجل : (يدنو منه فى لطف مصطنع) سيدى • انك تبـدو سـاهما مشغول الفكر ، وانى أراك تجول كل مساء فى هذه الجهة ، يخيل الى أن لك امرأة ترعاها •

تريبوليه : (محدثا نفسه) يا للشـيطان ! (بصـوت مرتفع) اننى لا أفصح عن شئونى للغير •

(يريد أن يبتعد فيمنعه الرجل)

الرجل : ولكنى لصالحك أقحم نفسى فى شـئونك ، ولو كنت تعرفنى لأحسنت لقائى ٠

(مقتربا) قد يكون ثمة مختال يغازل امرأتك وأنت تغار منه ٠

تريبوليه : (فى ضجر) وقصارى القول ماذا تريد ؟

الرجل : (فى ابتسامة لطيفة وصوت خفيض وسريع) أقتل لك غريمك لقاء أجر ٠

تريبوليه : (يتنفس الصعداء) آه ٠ هذا شيء عظيم ٠

الرجل : لعلك ترى يا سيدى اننى رجل شريف ٠

تريبوليه : يا للطاعون !

الرجل : ولئن تبعتك فلقصد نبيل ٠

تريبوليه : نعم ٠ الحق انك رجل مفيد !

الرجل : (فى تواضع) حارس شرف سيدات المدينة ٠

تريبوليه : وكم تتقاضى لقتل هذا الغريم ؟

الرجل : هذا يتوقف على حيثية الغريم الذى يقتل وكفاءتى فى العمل ٠

تريبوليه : ماذا تطلب لكى تجهز على أحد كبار النبلاء ؟

الرجل : آه ، يا للشيطان ! هذا يزيد من احتمال تعرضى للهلاك بطعنة حسام فى البطن ان هؤلاء قوم مسـلحون وفى ذلك خشـبة على حياتى ، هذا الى أن النبيل غالى الثمن ٠

تريبوليه : النبيل غالى الثمن ! خبرنى ، هل يباح لأواسط الناس مثلا أن يؤجر أحدهم على قتل الآخر ؟

الرجل : (مبتسما) لقـد شرعوا فى ذلك ! ومع كل فالقتـل ترف ٠ أفهمت ؟ ترف تأصل بصفة عامة فى علية القوم ٠ وهناك ثمة سوقة يصطنعون مظهر السادة ، يكلفوننى بالقتـل لقاء مبلغ ضـخم ، وهؤلاء أترفق بهم ٠ انهم ينقدوننى مقدما نصف الأجر ، والنصف الآخـر فيما بعد ٠

تريبوليه : (يهز رأسه) نعم ٠ انك تخشى المقصلة وعقاب ٠٠

الرجل : (مبتسما) لا ٠ لا ٠ اننا نتولى الوفاء بأتاوة الشرطة ٠

تريبوليه : تدفعون مبلغا معينا عن أى رجل ؟

الرجل : (يومىء بالايجاب) اللهم الا ·· ترى ماذا أقول لك ؟ الا اذا كان المقتول ، يا الهى ·· الا اذا كان المقتول هو الملك ذاته !

تريبوليه : وكيف تؤدى مهمتك ؟

الرجل : سيدى ، اننى أقتل فى الطريق أو فى بيتى حسبما تشاء ·

تريبوليه : أسلوب مهذب ·

الرجل : حين أنزل الى الطريق أحمل معى نصلا حادا ، ثم انتظر الضحية مساء ··

تريبوليه : وفى البيت ، ما سبيلك ؟

الرجل : لى أخت تدعى « ماجيلون » فتاة رائعة الحسن ، تزاول الرقص فى الطرقات ويستظرفها الناس ، فهى تستدرج الى بيتنا الضحية ليلا ··

تريبوليه : فهمت ·

الرجل : أرأيت ؟ كل هذا يتم فى وقار دون جلبة · جربنى يا سيدى فستجد ما يسرك · اننى لا أملك حانوتا ، ولا أثير من حولى مظاهرة ، لا سيما أننى لست من زمرة حاملى الخناجر ذوى القمصان الضيقة الذين يتجمعون عشرة فى أبسط مغامرة ، هؤلاء اللصوص الذين قصرت شجاعتهم مثلما قصر سيفهم (يجذب من تحت عباءته سيفا بالغ الطول) هذه أداتى · (يتراجع تريبوليه مذعورا) فى خدمتك !

تريبوليه : (محملقا فى السيف فى عجب) لست فى حاجة اليها الآن ·

الرجل : (معيدا السيف الى جرابه) تبالك ! اذا احتجت الى فاننى أتنزه يوميا عند الظهيرة أمام قصر دى ميد واسمى سالتا باديل ·

تريبوليه : أأنت من الغجر ؟

الرجل : (محييا) ومن أهل بورجونيا ·

السيد دى جورد : (فى المؤخرة يدون شيئا فى مفكرته ويخاطب السيد دى بيين بصوت خافت) هذا رجل مفيد ، لقد دونت اسمه ·

الرجل : (مخاطبا تريبوليه) لا تظن بى السوء · أرجوك ·

تريبوليه : كلا · بحق الشيطان ، فلابد للانسان من حرفة ·

الرجل : غير التسول والكسل والسرقة ٠ عندى أطفال أربعة ٠٠

تريبوليه : ولا يليق بك أن تقعد عن رعايتهم ٠٠ آذنا له بالانصراف) أدامت السماء حبورك !

السيد دى بيين : (فى المؤخرة مخاطبا السيد دى جورد وهو يشير الى تريبوليه) مازلنا فى وضح النهار وأخشى أن يرانا ٠ (ينصرفان) ٠

تريبوليه : (مخاطبا الرجل) سعدت مساء !

الرجل : (محييا) الى الملتقى ٠ خادمك المطيع ٠ (ينصرف)

تريبوليه : (يشيعه بنظراته وهو يبتعد) كلانا ندان ، لى لسان سليط وله نصل حاد ٠ بضاعتى الضحك وبضاعته القتل ٠

المشــهد الثانى

يختفى الرجل ٠ يفتح تريبوليه فى بطء باب سور الفناء ويتطلع الى الخارج بحذر ثم يجذب المفتــاح من الرتاج ويوصد البــاب بعنــاية من الداخل ٠ يخطو بضع خطوات فى الفناء ساهما بادى الهم والتفكير ٠

تريبوليه : (محدثا نفسه) لقد لعننى هذا العجوز ! حين حدثنى ، حين صاح فى وجهى : لتنزل بك لعنة السماء أيها التابع ! لقد هزأت من لوعته ! أجل كنت فى هذا خسيسا ، كنت أضحك وقلبى ينفطر !

(يذهب للجلوس على مقعد صغير بالقرب من خوان حجرى)

ملعون ! (يستغرق فى حلم ويده على جبينه) أجل ٠ لقد جعلتنى الطبيعة غاية فى الشيطنة والضراوة والجبن ! يالشدة سخطى على الدنيا لأننى مهرج ولأننى أشوه ! تلك هى الفكرة التى تراودنى دوما فى صحوتى ومنامى ! ولئن طفت على جناح الأحلام حول العالم ففى انتظارى فى آخر المطاف هذا الواقــع المرير ، وهــو أننى مهرج قصر ، محروم من كل شىء ، ولا يقدر على أى شىء ٠ عليه أن يضحك وأن يلتمس اضحاك الآخرين ! يا له من غلو فى المهـــانة والبؤس ! ماذا أقول ؟ ان لقطيع الجند الملتف حول تلك الخرقة

التى يسمونها علما ، وما بقى من حطام الدنيا لكل متسول أسبانى أو رقيق تونسى أو شقى فى سجنه بل لكل امرىء يتنفس ويتحرك على ظهر البسيطة ، هو حقه فى ألا يضحك وحقه فى البكاء اذا شاء · أما أنا فلا أحظى بهـــذا الحق ! يا لله ، ويا لى من مخلوق حـزين عبوس ، جبيس جسد أسيىء خلقه ، فقد يضيق به ذرعا ، اننى مفعم بالقرف من دمامتى وأغار من كل قوى ومن كل وسيم · تسلط على الأضواء من كل صوب فلا تزيدنى الا قتاما · أتوق أحيانا الى الوحدة واعتزال الناس ، فاذا ما التمست مكانا قصيا وأردت أن أجمع شتات نفسى وأسـكن للحظات روعها وهى تنشج بالبـكاء المرير ، ظهر مولاى على حين غرة ، هذا الملك المرح الطروب ، القادر على كل شىء ، معبود النساء ، من قرعينا بدنيـــاه فنسى من فرط السعادة ظلمة القبر ، من جمع بين نعمة الشباب والجمال وبسطة القوام والعافية وملك فرنسا ، جاء ليركلنى بقدمه فى معزلى والليل ساكن يسمع تنهدى وأنينى ، فيهتف بى وهو يتثاءب : أضحكنى أيها المهرج ما أشقاك يا مهرج القصر ! ألا انك بشر رغم كل شىء · ماذا أقول ؟ ان مراحل الأنفعال التى تغلى فى قرارة نفسه ، ومشاعر الحقد والصلف والحسد والسخط والخوف التى يزخر بها قلبه ، والحذر الأزلى من ثمة تدبير رهيب ، كل هذه الأحاسيس السود التى تنهش ضلوعة يكبتها عند ذاك فى نفسه بأشارة من مولاه ، ويشكلها بشرا ومرحا لمن يشاء ! يا له من هوان ! فلئن جلس أو نهض أو سار ، أحس على الدوام بهذا الخيط الذى يجذب قدمه !! انه يلقى المهانة أينما كان والمذلة من كل انسان · وقـــد يصادف ملكة أو غانية ساحرة ، شبه عارية ، يسيل لها لعابه، فتدعه يلهو فى خدرها كما يفعل الكلب ! أما أنتم ــ يا سادتى النبلاء ــ ذوو الطلعة البهية ، سادتى النبلاء الساخرون منه ، فيالمقته لكم ، ويالكم من من أعداء ألداء له ! لكم جعلكم تدفعون ثمن سخريتكم به غاليا ، وكم عرف كيف يباغتكم بهجوم مضاد ! انه الشيطان الأسود الذى يستشيره الملك ، لقد أفل نجمكم الى الأبد أيها السادة ، فكلمـــا استطاع المهرج أن ينشب أظافره فى حياة تفىء عليها ظلال السعادة سارع الى انتزاع أوراقها ورقة ورقة ! لقد جعلتم منه سباقا للشر ! أهكذا تكون الحياة ؟ يا للهول ! انكم تمزجون الخمر بالصـــاب وتسكرون بها الناس ، وان نبتت فى نفس امرىء نزعة الى الخير

أتيتم عليها وصدعتم بصلصلة الجلاجل كل رأس يريد أن يفكر ٠
انكم تنسابون كل يوم فى المحافل ـ مرتع سخريتكم ـ كما تنساب
الروح الشريرة ، لتقضوا بدافع السـأم هناء السعداء ، اذ لا غاية
لكم سـوى حطم الغير ، وانكم لتحملون فى قرارة النفس ، وأنى
قادتكم المصادفة رصيد حقد قديم للناس طرا ، فاضت به قلوبكم ،
تقحمونه فى كل شأن وتكنونه من وراء ضحكة ساخرة !

آه ما أتعسنى ٠

(ينهض من المقعد الحجرى الذى كان يجلس عليه) ولكننى الآن
هنا ، فلا أكترث بشىء ٠ أما أغدو رجلا آخر حين أجتـاز هـذا
الباب ؟ فلأنس للحظات هذا العالم الذى خرجت منه ، فلا ينبغى
أن أحمل الى هذه البقعة شيئا من متاعب الخـارج ٠ (يعـاوده
الشرود) لقد لعننى هذا العجوز ! ولكن لم يراودنى هـذا الخاطر
بعـد اذ طردته ؟ أرجو ألا يصيبنى مكروه (يهز منكبيه) ترانى
جننت ؟ (يمضى الى باب البيت ويطرقه ٠ ينفتح الباب وتدلف منه
فتاة ترتدى ثوبا أبيض ، فترتمى متهللة بين ذراعيه) ٠

المشـهد الثالث

تريبوليه ـ بلانش ـ السيدة بيرارد

تريبوليه : ابنتى ! (يضمها الى صدره فى لهفة وحنان) ٠

طوقى عنقى بذراعيك ٠ ضعيهما على قلبى !

كل شىء باسم بقربك ، ولا يثقل على صدرى شىء ! أى بنيتى ! اننى
جد سعيد ، وأتنفس ملء رئتى ! (يرنو اليها بعين نشوى) انك
تزدادين حسنا من يوم الى يوم ! هل يعوزك شىء ؟ قولى ، أمستريحة
أنت هنا ؟ بلانش عانقينى بقوة !

بلانش : (بين ذراعيه) يا لك من انسان نبيل يا أبتاه !

تريبوليه : (جالسا) كلا · اننى انسان يحبك هذا كل ما فى الأمر · ألست حياتى ودمى ؟ ماذا كنت فاعلا يارب لو لم أرزق بك ؟

بلانش : (واضعة يدها على جبينه) انك تتنهد · أرى أن ثمة هموما تكتمها فى نفسك · أليس كذلك ؟ أفصح عنها لابنتك المسكينة ! واحر قلباه ! اننى لا أعرف لى أسرة ·

تريبوليه : ليس لك أسرة يا بنيتى ·

بلانش : اننى أجهل اسمك ·

تريبوليه : وماذا يعنيك من اسمى ؟

بلانش : كان الجيران فى « شينون » تلك المدينة الصغيرة التى شهدت طفولتى يعتقدون أننى يتيمة قبل قدومك ·

تريبوليه : كان على أن أتركك هناك فهذا أسلم ، لكننى لم أستطع الحياة على تلك الحال · كنت فى حاجة اليك ، فى حاجة الى قلب يضمر لى الحب · (يضمها ثانية بين ذراعيه) ·

بلانش : ليتك تحدثنى عن نفسك ··

تريبوليه : اياك والخروج !

بلانش : منذ أقمت هنا منذ شهرين ، ذهبت الى الكنيسة ليس غير ثمان مرات ·

تريبوليه : حســـنا ·

بلانش : حدثنى يا أبى الحنون ، حدثنى على الأقل عن أمى ·

تريبوليه : آه · لا تثيرى فى نفسى قصة مريرة · لا تذكرينى بأننى وجدت فى زمن مضى ـ ولولا أنك ماثلة أمامى لقلت اننى رأيت فيما يرى النائم ـ امرأة تختلف عن معظم النساء ، فى عالمنا الذى خلا ممـــا يؤلف بين القلوب ، امــــرأة أحبتنى لبؤسى ودمامتى ، حين رأتنى وحيدا عاجزا بائسا بغيضا · ثم انتقلت الى رحاب الله وطوت معها فى القبر هذا السر العلوى ، سر حبها الخالص ، سرها الذى مر بى كالبرق الخاطف ، أو كشعاع هبط من الجنة الى مستقرى فى السعير ! ليحن الثرى الذى يتأهب دوما لطينا على ذاك الصدر الذى أرحت عليه رأسى ! وبقيت لى وحدك · (مبتهلا الى الله) الهى لك الحمد على نعمائك ·

(يبكى مخفيا جبينه بين يديه) ·

بلانش : لا ريب فى أنك تتعذب لا · اننى لا أحب أن أراك على هذا النحو باكيا · لا ، ان بكاءك يقطع نياط قلبى ·

تريبوليه : (بمرارة) وماذا تقولين اذا ما رأيتنى ضاحكا ؟

بلانش : أبتاه · ماذا بك ؟ اذكر لى اسمك ··· أواه ، أودعنى كل همك !

تريبوليه : كلا · ما الذى يدعو لذكر اسمى ؟ كفى أننى أبوك · اصغى الى : قد يكون هناك خارج هذا المكان كما تعلمين من يخشى بأسى أو يزدرينى أو يلعننى ، من يدرى ؟ فماذا أنت صانعة باسمى ان ذكرته لك ؟ اننى أريد هاهنا على الأقل ، أريد فى وجودك أريد فى هذه البقعة من الدنيا ، هذه البقعة التى تضم البراءة والطهر ، أن أكون أبا فحسب ، أبا مبجلا له قدسيته وله قدره وجلاله !

بلانش : أبتاه !

تريبوليه : (يضمها بوله بين ذراعيه) ألا من قلب فى غير هذا المكـــان يحنو على ؟ أواه ، اننى أحبك بقدر ما أبغض فى هذا العالم ! اجلسى بقربى وتعالى نتناجى · خبرينى ؟ أتحبين أباك ؟ ها نحن أولاء سويا ويديك بين يدى ، فماذا يكر هنا على حديث آخر ؟ أى بنيتى ، أنت كل السعادة التى واتتنى بها السماء ! ان للآخرين آباء وأخـــوة وأصدقاء ، لهم زوجة أو زوج ، لهم المواكب والضياع ، لهم أجداد وحلفاء وأبناء وغير ذلك مما لا أدرى ، أما أنا فليس لى سواك · ان بعض الناس أثرياء ، حسنا ، أنت وحدك ما لى وأنت وحدك كنزى ! والبعض يؤمنـــون بالله ، وأنا أو من بروحك ! وآخرون ينعمون بالشباب وبحب امرأة ، ينعمون بالعزة والجاه والجمال والصحة ، انهم غاية فى الوسامة والحسن ، أما أنا ــ فكما ترين ــ ليس لى سوى حسنك ، أى طفلتى العزيزة ، أنت وطنى وملاذى ، أنت زوجى وأمى وأختى وابنتى ، أنت هنائى وثروتى ودينى وشريعتى ، دنياى أنت ، أنت دائما ، ولا أحد فى الوجود سواك ! ان نفسى الشقية مثخنة بالجراح فى سائر جنباتها الأخرى ، ترى ما مصيرى اذا فقدتك ؟ لا · هذا خاطر لا أقوى على احتماله لحظة ! ابتسمى فى وجهى قليلا فان بسمتك ساحرة · نعم ، انها صورة صادقة لبسمة أمك ! لقد كانت جميلة على غرارك ! انك تمررين يدك أحيانا على على جبينك كمـا كانت تفعل كأنما تمسحينه · أجل ، فلابد لكل قلب طاهر من جبين كله براءة ونقاء ، وسماء كلها صفاء · انك

تشعين على بلهب علوى ، وان نفسى لترى نفسك من خلال جسدك الجميل ، وانى لأبصرك سواء أغمضت عينى أم فتحتهما ، فأنت لى منبع النــور • أتمنى أحيـــانا لو كنت أعمى ، تغشى عينى ظلمة دامسة ، حتى لا أرى فى هذه الدنيا شمسا سواك !

بلانش : أواه ، كم أتمنى اسعادك !

تريبوليه : من ؟ أنا ؟ اننى ها هنا سعيد ، سعيد اذ تقع عليك عيناى ، وحسبى منك ذلك يا ابنتى لتذوب حشـاشتى • (يمـرر يده فى شعرها وهو يبتسم) ما أروع هذا الشعر الأســـود الجميل ! من يصدق يا طفلتى أنك كنت شقراء ؟

بلانش : (فى دلال) انى أتوق الى الخروج يوما لأشاهد باريس بعض الوقت •

تريبوليه : (محتدا) كلا ، اطلاقا • أما خرجت يا ابنتى على الأقـــل بصحبة السيدة بيرار ؟

بلانش : (مرتجفة) كلا •

تريبوليه : حـــذار !

بلانش : اننى أذهب الى الكنيسة فحسب •

تريبوليه : (محدثا نفسه) يا للسماء ! قد يرونهـــا ويقتفون أثرها ويسلبونها منى ، وفى كونها ابنة مهرج خزى وعار ، يثير سخرية الناس منها • (بصوت مرتفع) أرجوك مرة أخـرى أن تظلى فى البيت حبيسة ! آه لو تعلمين يا بنيتى كم يفسـد النســاء جـو باريس ، وكم يرتع الداعرون فى المدينة طولا وعرضـا ، لا سيما النبلاء !

(مبتهلا) رب اجعلها تشب فى هذا الحمى تحت سمعك وبصرك • رب جنبها المكاره جميعا • وأتح لكل ريح عاصفة أن تذيل ما عداها من الزهــر • رب قها حتى فى أحلامها كل نسمة دنسة ، كيما يستطيع أب منكود – فى ساعات صـفوه – أن يستنشق عبيرها المكنون ، عبير وردة تنضج عذرية وحسنا !

(يخفى رأسه بين يديه ويسترسل فى البكاء)

بلانش : حنانيك يا أبتاه ! لا تبك هكذا . لن ألتمس منك الخروج أبدا .

تريبوليه : لا . ان فى البكاء راحة للنفس . لقد ضحكت كثيرا ليلة الأمس .

(ناهضا) ولكنى نسيت نفسى طويلا ، لقد حان وقت انصرافى يا بنيتى لأواصل المشاق ، وداعا .

(يمضى النهار الى زوال) .

بلانش : (تعانقه) خبرنى .. أتعود قريبا ؟

تريبوليه : ربما . اننى كما ترين - يا طفلتى المسكينة - لست سيد نفسى .

(مناديا) يا سيدة بيرارد !

(تظهر على الباب وصيفة عجوز)

السيدة بيرارد : ماذا يريد سيدى ؟

تريبوليه : لا أظن أن أحدا رآنى أدخل هنا . أليس كذلك ؟

السيدة بيرارد : هذا ما أعتقده ياسيدى . فنحن فى بقعة قفراء نائية .

(الليل يرخى سدوله . يظهر الملك فى الشارع من الجهة الأخرى للسور متنكرا فى زى بسيط قاتم اللون . يعاين ارتفاع السور والباب المغلق . تنم اشاراته عن غضب ونفاذ صبر) .

تريبوليه : (محتضنا بلانش) وداعا يا ابنتى الحبيبة .

(مخاطبا السيدة بيرارد) أتحرصين على اغلاق الباب المؤدى الى الطريق ؟

(تومىء السيدة بيرارد بالايجاب) اننى أعرف دارا أكثر انعزالا خلف شارع سان جرمان .

بلانش : ان هذه الدار تروق لى يا أبتاه لشرفتها التى أشاهد منها الحدائق .

تريبوليه : لا تخرجى الى الشرفة . أتوسل اليك !

(متصنتا) أهناك من يمشى فى الخارج ؟

(يمضى الى باب الفناء ويفتحه ، ثم ينظر فى قلق الى الطريق . يختبىء الملك فى حفرة قرب الباب الذى تركه مفتوحا الى منتصفه)

بلانش : (مشيرة الى الشرفة) ماذا ؟ ألا أستطيع الخروج الى الشرفة لأشم الهواء ؟

تريبوليه : (عائدا) حذار ! فقد يراك أحد ٠

(بينما يستدير تريبوليه ، يتسلل الملك الى الفناء من الباب المفتوح ويختبىء خلف شجرة ضخمة)

(مخاطبا السيدة بيرارد) وأنت ! لا تعلقى مصباحا فى النافذة ٠

السيدة بيرارد : (متشابكة اليدين) وأنى لانسان أن ينفذ الى هذا المكان ؟

(تستدير ، فتلمح الملك خلف الشجرة ٠ تتوقف مبهوتة ٠ وحين تهم بالصراخ يلقى اليها الملك بصرة نقود ٠ تتناولها وتقيم زنتها فى يدها فلا تفتح فاها)

بلانش : (مخاطبة تريبوليه وكان قد ذهب ليعاين الشرفة وفى يده مصباح) يالها من حيطة شديدة ! ولكن خبرنى يا أبتاه ، ممن تخاف ؟

تريبوليه : لا شىء عن نفسى ، وكل مخاوفى عليك !

(يحتضنها مرة أخرى بين ذراعيه) بلانش ، بنيتى ، وداعا !

(تضىء أشعة المصباح الذى تحمله بيرارد وجه بلانش وتريبوليه)

الملك : (محدثا نفسه خلف الشجرة) تريبوليه ! (ضاحكا) ماذا بحق الشيطان ابنة تريبوليه ! يالها من قصة فريدة !

تريبوليه : (عائدا ادراجه بعد أن هم بالانصراف) ألا يلاحقك أحد حين تذهبين للصلاة فى الكنيسة ؟ ان هذا الأمر يشغل فكرى !

(تطرق بلانش فى ضجر)

السيدة بيرارد : أبدا ٠

تريبوليه : عليك أن تستغيثى اذا تبعكما أحد ٠

السيدة بيرارد : نعم ٠ وسأدعو مساعدا قويا !

تريبوليه : ثم لا تفتحى مطلقا لمن يطرق الباب ٠

السيدة بيرارد : (متحدية حيطة تريبوليه) حتى اذا كان الملك ؟
تريبوليه : وخصوصا اذا كان الملك !
(يعانق ابنته مرة أخرى ، ثم ينصرف بعد أن يوصد الباب بعناية)

المشـــهد الرابع

بلانش ـ السيدة بيرارد ـ الملك

(يظل الملك خبيئا خلف الشجرة خلال الشطر الأول من المشهد)

بلانش : (ساهمة تنصت الى وقع أقدام أبيها وهو يبتعد)
يخالجنى مع ذلك شعور بالندم !

السيدة بيرارد : الندم · ولماذا ؟

بلانش : كم يخشى من أقل همسة وينزعج ! لقد رأيت دمعة تتأرجح فى عينيه حين انصرف · لهفى عليك يا أبتاه ! ما أبلغ طيبتك ! كان على أن أخبره أن ثمة شاب يتبعنا يوم الأحـــد عنـــد خروجنـــا · أتذكرين ؟ هذا الشاب الجميل ·

السيدة بيرارد : ولم تروين آه هذه القصـــة ياسيدتى ؟ قصارى القول ان آباك رجل غريب الأطوار على قدر من الضراوة · أتكرهين اذن هذا الفارس الشاب ؟

بلانش : أنا أكرهه ؟ كلا · واحر قلباه ! اننى على النقيض أحبه ، فمنذ رأيته لا يلهينى عنه شىء ، ومنذ خاطبت عيناه عينى لم يعد لسائر الخلق عندى أى وزن · انه لا يغيب عن خاطرى أبدا · لقـــد وهبت له نفسى · أتسمعين ؟ هذا قرارى ·· انى أراه يزيد طولا عن أى انسان بقدر ذراع ! كم هو لطيف ونبيل وشهم ومقـــدام يا بيرارد ، ولا جدال فى بهاء طلعته وهو على صهوة الجياد !

السيدة بيرارد : فى الحق انه رائع !

(تمر على مقربة من الملك فينفحها حفنـــة من الذهب تدســـها فى جيبها)

بلانش : مثل هذا الرجل لابد أن يكون ··

السيدة بيرارد : (تمد يدها الى الملك فيزيدها عطاء) انسانا كاملا ٠

بلانش : يستشف قلبه من عينيه ٠ قلب كبير !

السيدة بيرارد : ما فى ذلك شك ٠ قلب هائل !

(تمد السيدة بيرارد يدها الى الملك لدى كل كلمة تنطق بها فيملؤها بقطع ذهبية)

بلانش : شجاع !

السيدة : (تواصل خديعتها) مرهوب الجانب !

بلانش : وهو مع ذلك ٠٠ طيب القلب !

السيدة بيرارد : (ممدودة اليد) حنون !

بلانش : سخى !

السيدة بيرارد : (ممدودة اليد) رائع !

بلانش : (فى تنهد عميق) اننى معجبة به !

السيدة بيرارد : (ممدودة اليد لدى كل عبارة تلفظها) قوام منقطع النظير ! عيناه ، جبينه ، أنفه ٠

الملك : (محدثا نفسه) يا الهى ! ان العجوز تفصل فى اطرائى ! لقد ابتزت كل ما فى حافظتى ٠

بلانش : يطيب لى أشادتك به ٠

السيدة بيرارد : اننى أعرفه ٠

الملك : (محدثا نفسه) انها تسكب الزيت على النار لتذكى ضرامها !

السيدة بيرارد : طيب القلب حنون ، ذو قلب هائل ، شجاع ، سخى ٠٠

الملك : (مفرغا كل ما فى جيوبه) يا للشيطان ! انها تعاود !

السيدة بيرارد : (مسترسلة) انه نبيل عظيم الشأن ، أنيق الثياب ، يحمل قفازه علامة مطرزة بالذهب ٠

(تمد يدها الى الملك ، فيومىء اليها بأنه خالى الوفاض)

بلانش : لا ٠ اننى لا أتمنى أن يكون أميرا أو نبيلا قط بل أتمناه طالبا فقيرا وافدا من الريف فيكون أصدق حبا ٠

السيدة بيرارد : قد يكون كما ذكرت ! اذا كنت تفضلينه على هذا النحو ٠ (محدثة نفسها) ما أعجب ذوقها ! وياله من عقل يافع زاخر بالمتناقضات !

(تحاول مرة أخرى أن تمد يدها للملك) لقد جن هـذا الشـاب الجميل بحبك ..

(لا يعطيها الملك شيئا) (محدثة نفسها) أرى أن صـاحبنا قد أفلس . لا كلام بلا دراهم .

بلانش : (دون أن ترى الملك) ان يوم الأحد لا يستبق قط موعده ، وان خوفى لشديد حين لا أراه . لقد ظننت ذاك اليوم عند تقديم القرابين انه سيخاطبنى ، فاشتد خفقان قلبى ! اننى أفكر فيـه ليل نهار ، أما عنه فقد توله كما ترين بحبى ، وانى لعلى ثقة بأن صورتى لا تفارق خياله أبدا . تلك هى طبيعته ، وهذا واضـح فيه . انه لا يعبأ بأية فتاة سواى ، يعاف اللهو واللعب والسمر ولا يفكر الا فى .

السيدة بيرارد : (تبذل محاولة أخيرة وتمد يدها للملك) أقسم على ذلك برأسى !

الملك : (يخلع خاتمه ويعطيه لها) خاتمى فداء رأسك !

بلانش : كم أتمنى أحيانا حين أفكر فيه نهارا ، وحين أحلم به ليلا ، أن أراه ماثلا أمامى .

(يخرج الملك من مخبئه ويجثو تحت قدميها ، بينما هى كانت موليه وجهها شطر ناحية أخرى) لكى أقول فى وجهه : عشت سـعيدا قرين العيد . آه ، نعم اننى أحـ ...

(تلتفت فترى الملك جاثيا أمامها فتتوقف مشدوهه)

الملك : (مادا لها ذراعيه) أحبك ! أكملى عبارتك ! أكمليهـا ! قولى أحبك ولا تخشى شيئا . ان هذه العبارة تنسجم مع هـذا الثغر الجميل !

بلانش : (مذعورة . تبحث بعينيها عن السـيدة بيرارد التى اختفت) بيرارد ! بيرارد ! ما من أحد . رباه ! هل من مجيب ؟ لا أحد .

الملك : (لا يزال جاثيا) حبيبان تباركهما السعادة ، يالها من دنيا بأسرها !

بلانش : (مرتجفة) سيدى . من أين جئت ؟

الملك : من جهنم أم من السـماء ، وسـواء كنت الشـيطان أو جبريل فذلك عندى غير ذى بال اننى أحبك !

بلانش : رحماك أيتها السماء ! أرجو ألا يكون قد رآك أحد · انصرف ! رباه ! لو أن أبى ··

الملك : أنصرف حين أراك مختلجـة بين ذراعى ، حين أغـدو ملكا لك وتصبحين ملكا لى ! انك تحبيننى وجهرت بحبك !

بلانش : (فى اضطراب) يا الهى ! لقد كان ينصت الى ·

الملك : بلا شك · وهل من لحن علوى يفوق هذا اللحن تودين أن أنصت اليه ؟

بلانش : (متوسلة) والآن وقد تحدثت الى أرجو أن تنصرف ، رحمة بى !

الملك : لن أنصرف حتى يرتبط مصـيرك بمصيرى ، ويتألق نجمانا فى برج واحد ، وأوقظ فيك مشاعر الفتاة · لقد اصطفتنى السـماء لأفتح للحب نفسك العذراء وللنور مقلتيك تعـالى وأنظرى · ان الحب شمس النفوس ، أفلا يشعرنك بالدفء لهبها اللطيف ؟ ان صولجان الملك الذى يمنحنا اياه الموت ثم يسترده منا ، والمجـد الذى نحرز ونحن نصول ونجول فى سـاحات الوغى ، والسعى وراء الشهرة واقتناء الضياع وتسنم العروش كل هـذه أمور من صنع البشر ، وما من شىء فى هـذه الحيـاة ــ وكل ما فيها الى زوال ــ من وحى السماء غير الحب ! أى بلانش ! ان حبيبك يحمل اليك السعادة ، تلك السعادة التى كانت تنتظر فى استحياء على بابك ! انمـا الحيـاة زهرة والحب رحيقها ، وما الحب الا ذلك الرباط الذى يجمع فى السماء شمل اليمامة والصقر، وهو الحسن المختلج مستندا الى ساعد القوة والبأس وهو يدك المنسية فى لطف ودعة بين يدى ·· تعالى نرتشف كئوس الحب ! تعالى نرتشـف كئوس الحب !

بلانش : كلا · دعنى ! (يضمها بين ذراعيه ويقبلها)

السيدة بيرارد : (فى المؤخرة تحـدث نفسـها فى الشرفة) ان الأمور تسير على ما يرام !

الملك : (محدثا نفسه) لقد استسلمت ! (بصوت مرتفع) صارحينى بحبك !

السيدة بيرارد : (فى المؤخرة تحدث نفسها) ياله من فاجر !

الملك : بلانش · أعيدى على مسمعى ما قلته ·

بلانش : (مطرقة فى حياء) لقد سمعتنى وتعرف ما قلت ·

الملك : (يعانقها مرة أخرى بشغف) اننى سعيد !

بلانش : اننى هالكة !

الملك : لا · بل أنت سعيدة معى !

بلانش : (تتخلص من عناقه) اننى لا أعرفك · خبرنى ما اسمك ؟

السيدة بيرارد : (محدثة نفسها فى المؤخرة) حان وقت التفكير فى ذلك ·

بلانش : لا أخالك أميرا أو نبيلا ، فان أبى يخشى هؤلاء أشد خشية !

الملك : يالله ! كلا · اسمى ·· (محدثا نفسه) ترى ما هو ؟

(يبحث) اسمى جوشـيه ماهييـه ·· طالب ·· طالب رقيق الحال ··

السيدة بيرارد : (منهمكة فى تلك اللحظة فى احصاء ما أعطى لهـا من نقود) ياله من كذاب أشر !

(يدلف الى الشارع السيدان دى بيين ودى باراديان ملتفين فى معطفيهما ، وفى يد كل منهما مصباح هزيل الضوء)

السيد دى بيين : (مخاطبا السيد دى باراديان بصوت خافت) هنـا أيها الفارس ·

السيدة بيرارد : (فى صوت خفيض وهى تهبط مسرعة من الشرفة) انى أسمع صوتا فى الخارج ·

بلانش : (مذعورة) ربما كان أبى !

السيدة بيرارد : (مخاطبة الملك) انصرف يا سيدى !

الملك : آه لو يقع فى قبضتى هذا الغادر الذى عكر صفوى !

بلانش : (مخاطبة السيدة بيرارد) دعيه يمضى سريعا من الباب المؤدى الى الطريق ·

الملك : (مخاطبا بلانش) ماذا ؟ أنفترق هكذا مبكرا ؟ ترى ستحبيننى فى الغد ؟

بلانش : وأنت ؟

الملك : طوال عمرى ٠

بلانش : سوف تخدعنى لأننى خدعت أبى !

الملك : أبدا ٠ قبلة واحدة يا بلانش فى عينيك الجميلتين ٠

السيدة بيرارد : (محدثة نفسها) ياله من معانق أحمق !

بلانش : (متمنعة) لا ٠ لا !

(يعانقها الملك ثم ينصرف برفقة السيدة بيرارد)

(تظل بلانش ردحا من الزمن وعيناها مصوبتان نحو الباب الذى خرج منه ، ثم تعود الى الداخل ٠ يزخـر الشـارع فى تلك الاثناء بنبلاء مسلحين يرتدون المعاطف والأقنعة ٠ ينضم السيد دى جورد ثم السادة دى كوسيه ودى بريون ودى مونشينو ودى مونمورانس وكليمان مارو على التوالى الى السيدين دى بيين ودى بارادیان ٠ الليل حالك السواد ، يطفىء هؤلاء مصباحهم الشاحب ويتبادلون فيما بينهم اشارات التعرف ويرشـدون بعضهم البعض الى منزل بلانش ، وفى اثرهم يسير تابع يحمل سلما) ٠

المشـهد الخامس

النبلاء ثم تريبوليه ثم بلانش

(تطلع بلانش الى الشرفة من باب الطابق الأول وفى يدها مشعل يضيىء وجهها) ٠

بلانش : (واقفة بالشرفة) جوشيه ماهييه ! هذا هو اسم من أحب ٠ ليكن منقوشا على صفحة قلبى !

السيد دى بيين : (مخاطبا النبلاء) انها هى بعينها أيها السادة ٠

السيد دى باراديان : لنرى ٠

السيد دى جورد : (بازدراء) نسخة من جمال العامة !

(مخاطبـا السـيد دى بيين) اننى راث لحـالك اذا جعلت من الوضيعات متعتك

(تلتفت بلانش فى تلك اللحظة بحيث يتسنى للنبلاء رؤيتها)

السيد دى بيين : (مخاطبا السيد دى جورد) كيف تراها الآن ؟

مارو : ما أجمل هذه الشريرة !

السيد دى جورد : أنها جنية ! انها تلك ! انها الحسن كاملا !

السيد دى باراديان : ماذا ؟ أهذه خليلة السيد تريبوليـه ؟ ياله من ماكر خبيث !

السيد دى جورد : انه وغد !

مارو : أجمل النساء لأقبح الرجال ٠ هذا هو العـدل ٠ ان اله الحب مغرم بمزج الأشكال ٠

(تعود بلانش الى حجرتها ، ولا يبـدو سوى ضـوء من احـدى النوافذ)

السيد دى بيين : ينبغى علينا أيها السادة ألا نضيع الوقت سـدى فى الاستحسان والاسـتهجان ٠ لقد عقـدنا العزم على القصاص من تريبوليه ، وها نحن أولاء مجتمعون الآن وكلنا ناقم عليه ، ومعنا كذلك سلم خشبى ٠ لنعتلى الجدار ونسلبه غانيته ، ثم نحملها الى قصر اللوفر فاذا صحا صاحب الجلالة فى صباح الغـد وجد بجواره هذا الجمال الفاتن ٠

السيد دى كوسيه : من المرجح أن يستأثر بها الملك ٠

مارو : على الشيطان أن يعالج الأمر بطريقته الخاصة !

السيد دى بيين : أحسنت القول ٠ هيا الى العمل !

السيد دى جورد : انها فى الحق قطعة من ملك ٠

(يدخل تريبوليه)

تريبوليه : (شـاردا فى المؤخـرة كأنما يحلم) هأنذا أعـود ٠ ترى ما الداعى ؟ لا أدرى السبب ٠

السيد دى كوسيه : (مخاطبا النبلاء) ها أنتم ترون أيها السادة كيف يستلب ملكنا نساء الغير ٠ سواء منهن السـمراء أو الشـقراء ٠ وددت لو أعلم ماذا يصنع اذا استولى أحد على الملكة ؟

تريبوليه : (يتقدم بضع خطوات) آه · هنا سرى المكنون ! لقد لعننى هذا العجوز ! ان شيئا ما يقلق خاطرى ·

(الظلام دامس ، فلا يرى السيد دى جورد وهو قريب منه · فيتعثر فيه وهو يمر) من هناك ؟

السيد دى جورد : (عائدا فى ذهول ، يتحدث بصوت خافت الى النبلاء) تريبوليه ، أيها السادة !

السيد دى كوسيه : (خافت الصوت) نصر مزدوج ! لنقتل الغادر !

السيد دن بيين : على رسلك ، كلا ·

السيد دى كوسيه : انه فى قبضتنا ·

السيد دى بيين : فسنفتقده فى الغد ، ولن نجد من نسخر منه ·

السيد دى جورد : لو أجهزنا عليه فقدت المؤامرة طابعها الفكه ·

السيد دى كوسيه : لكنه لن ينفك عن مضايقتنا ·

مارو : دعونى أتحدث اليه ، وسأضع الأمور فى نصابها ·

تريبوليه : (قابعا فى ركن من الأركان ، متربصا مرهف السمع) اننى أسمع من يتحدث بصوت خافت ·

مارو : (مقتربا) تريبوليه !

تريبوليه : (فى صوت مخيف) من هناك ؟

مارو : رويدك · لا تلتهمنا · انه أنا ·

تريبوليه : من أنت ؟

مارو : مارو ·

تريبوليه : آه ، ما أشد حلكة الليل !

مارو : نعم · لقد صنع الشيطان من السماء سبورة سوداء !

تريبوليه : لم مجيئكم ؟

مارو : جئنا لنحمل السيدة دى كوسيه الى الملك ، أغاب عنك هذا الخاطر ؟

تريبوليه : (يتنفس الصعداء) آه · حسن جدا !

السيد دى كوسيه : (محدثا نفسه) وددت لو أهشم طرفا من أطرافه !

تريبوليه : (مخاطبا مارو) وما سبيلكم الى دخول مخدعها ؟

مارو : (مخاطبا السيد دى كوسيه بصوت خفيض) أعطنى مفتاحك ·
(يقدم اليه السيد دى كوسيه مفتاحه · فيناوله بدوره لتريبوليه)
خذ ، تحسس هذا المفتاح · ألا تتبين شعار آل كوسيه منقوشا عليه ؟

تريبوليه : (يتحسس المفتاح) نعم · ورقات شجر ثلاث مسننة ·
(يتحدث الى نفسه) يا الهى ! ما أشد غبائى ! (مشيرا الى جدار على اليسار) ها هو ذا قصر آل كوسيه · يا للشيطان ! ما هذه الوساوس التى تطن فى رأسى ؟
(محدثا مارو وهو يعيد اليه المفتاح) أجئتم لتختطفوا من كوسيه البدين زوجه ؟ اننى معكم !

مارو : ولكننا جميعا مقنعون ·

تريبوليه : حسنا · أعطنى قناعا ·

(يعطيه مارو قناعا ، ويزيد عليه عصبة يشدها الى عينيه وأذنيه)

مارو : عليك أن تسند السلم الخشبى ·

(يبسط النبلاء السلم على جدار الشرفة · يأخذ مارو بيد تريبوليه الى السلم ويجعله به)

تريبوليه : (مطبق اليدين على السلم) أأنتم كثيرون ؟ اننى لا أرى شيئا على الاطلاق ·

مارو : لأن الليل حالك الظلام · (مخاطبا الآخرين وهو يضحك) فى وسعكم أن تصيحوا وأن تسيروا بخطى ثقال · لقد جعلت العصبة من صاحبنا أعمى وأصم ·

(يتسلق النبلاء السلم الخشبى · يقتحمون باب الطابق الأول عن طريق الشرفة ، وينفذون الى الداخل فتصل الثلة بأكملها الى الفناء · تجتاز الباب ثم تعود حاملة بلانش مكممة الفم ، شبه عارية ، تحاول الخلاص) ·

بلانش : (شعثاء الشعر ، يسمع صراخها من بعد) أبتاه · هلم لنجدتى · أبتاه !

صوت النبلاء : (من بعيد) النصر لنا ! (يختفون ومعهم بلانش) ·

تريبوليه : (وحيدا أسفل السلم الخشبى) هل أتوا بى ها هنا لأتطهر من ذنوبى ؟ ألم تنتهوا بعد ؟ يالها من سخرية مهينة !

(يترك السلم الخشبي ويضع يده على القناع فيجد العصبة) ان عيني معصوبتان ! (ينزع العصبة والقناع ، وعلى ضوء مصباح خافت الضياء ترك منسيا على الارض يرى شيئا أبيض يلتقطه ، فيتعرف على وشاح ابنته • يلتفت فيرى السلم الخشبي مسندا الى جدار الشرفة وباب الدار مفتوحا على مصراعيه • يدخل مندفعا كالمجنون ، وبعد لحظات يظهر مرة أخرى وهو يجر السيدة بيرارد مكممة الفم تكاد تكون عارية ، يحدق فيها برعب ثم يشد شعره ويطلق صرخات مبحوحة ثم يسترد صوته) ويلاه ، هـــذه هي اللعنة !

(يسقط على الأرض مغشيا عليه)

الفصل الثالث

الملك

ايوان الملك فى قصر اللوفر • الطلاء الذهبى والنقـــوش والاثاث والفرش من طراز عصر النهضة • فى مقدمة المنظر خوان ومقعد وثير وكرسى يطوى • وفى المؤخرة باب كبير مذهب على اليمين باب مخدع الملك ، ومن خلفه سائر موشى • وعلى اليسار خزانـــة عليها آنية من الذهب والميناء • يؤدى باب المؤخرة الى ساحة الملعب •

المشـــهد الأول

النبــلاء

السيد دى جورد : والآن هيا بنا نعد خاتمة المغامرة ·

السيد دى باراديان : لابد لتريبوليه أن يعيى جهدا وأن يسام عذابا · وألا يتكهن بأن حسناءه هنا ·

السيد دى كوسيه : ليفتش عن خليلته · نعم ، هذا شىء جميل · ولكن هبوا أن حراس الأبواب قد رأونا هذه الليلة ونحن ندخلها ·

السيد دى مونشينو : لقد أمر جميع الحـــراس بأن يذكروا له انهم لم يروا الليلة قط امرأة تدخل قصر اللوفر ·

السيد دى بارايان : وفضلا عن ذلك ، وامعانا فى التضليل ، سعى الى داره خادم من خدمى ، لئيم بارع فى نســـج المكائد ، لكى يفضى ــ بصورة أو بأخرى ــ الى رجال المهرج بأنه قد رأى فى منتصف الليل امرأة يجرونها جرا الى قصر « هوتفور » وهى تحاول الخلاص جاهدة ·

السيد دى كوسيه : (ضاحكا) حسنا ، وذكر قصر هوتفــور يقذف به بعيدا عن قصر اللوفر !

السيد دى جورد : لنحكم شد تلك العصبة التى تغطى عينيه ·

مارو : لقد بعثت الى المهرج صباحا بهذه الرسالة (يخرج ورقة ويقرأ) « لقد اختطفت غانيتك يا تريبوليــه ، وسأصطحبها معى ــ ان لم يكن بد من اعلامك ــ الى خارج فرنسا »

(يضحك الجميع)

السيد دى جورد : (مخاطبا مورو) والتوقيع ؟

مارو : جان دى نيفيل !

(تشتد عاصفة الضحك)

السيد دى باراديان : كم سيضنيه البحث !

السيد دى كوسيه : وفى ذلك ما يشفى غليلى !

السيد دى ورد : ليوف لنا هذا الشــقى يوما بكل ما سلف من دين ، ونراه وهو يجر أذيال اليأس ، منكمش الرسغين ، منقبض الأنياب من فرط الغضب ٠

(ينفتح الباب الجانبى ٠ يدخل الملك مرتديا حلة صباحية رائعة وبصحبته السيد دى بيين يصطف رجال البلاط حاسرى الرؤوس ٠ يضحك الملك والسيد دى بيين ملء شدقيهما)

الملك : (مشيرا الى باب المؤخرة) أهى هناك ؟

السيد دى بيين : انها خليلة تريبوليه ٠

الملك : حقا ؟ يالله ؟ أشلحتهم من مهرجى خليلته ؟ هذا بديع !

السيد دى بيين : اما خليلته واما زوجه ٠

الملك : (محدثا نفسه) زوجه أو ابنته ، لا علم لى ان كان رب أسرة ٠

السيد دى بيين : أيود مولاى أن يشاهدها ؟

الملك : بلا شك ٠

(يخرج السيد دى بيين ويعود بعــد لحظة ، تســتند الى ذراعه بلانش وهى تسير مترنحة وعلى وجههــا نقاب ٠ يجلس الملك فى استرخاء على مقعده)

السيد دى بيين : (مخاطبا بلانش) أدخلى أيتها الحســناء ٠ ســـوف ترتجفين فيما بعد كما يطيب لك ٠ أنت فى حضرة الملك ٠

بلانش : (محتفظة بنقابها) أهذا الشاب هو الملك ؟

(تهرع وتجثو تحت قدميه ٠ واذ يسمع الملك صــوتها ينتفض ويومىء الى الحاضرين بالانصراف)

المشـــهد الثانى

الملك ـ بلانش
الملك وحده ومعه بلانش ، يرفع عن وجهها النقاب الذى يحجبه

الملك : بلانش !

بلانش : جوشيه ماهيبه ! ياللسماء !

الملك : (منفجرا فى الضحك) أقسم بشرفى أننى أسعد الناس بهــذه الخدعة ، سواء أكانت عن قصد أو بلا قصد · تعالى بين أحضانى يا جميلتى ، يا حبيبتى بلانش ·

بلانش : (متراجعة) ملك ·· ملك ! أطلق سراحى يا مولاى ! يا الهى ! اننى لا أدرى كيف أتحدث وماذا أقول يا سيد جوشيه ماهيبه ·· لا ، بل أنت الملك ·

(تجثو أمامه مرة أخرى) أواه ، أدركنى برحمتك ، أيا كنت !

الملك : أأرحمك يا بلانش وأنا من يعبدك ؟ ان ما قاله جوشـــيه ماهيبه مازال يردده فرنسوا · انك تحبيننى وأنا أحبك ، ونحن سعيدان بهذا الحب · وكونى ملكا لا ينال من حبى لك · كنت يا طفلتى تظنين أننى من أواسط الناس أو من سلالة الكهان ، بل ربما أدنى من ذلك شأنا ، فلئن جعلتنى المصادفة أكرم من ذلك محتدا وجعلت منى ملكا ؟ فهذا لا يدعو لبالغ تقززك منى فجأة ، ولئن لم يتح لى الحظ أن أكون من أهل القرى فذلك مالا أحفل به ·

بلانش : (محدثة نفسها) يا الهى ! يالها من سخرية ! ليتنى مت قبل هذا !

الملك : (مبتسما فى مزيد من الضــحك) اللهو والرقص والحفــلات والجولات ، ومغانى الحب مساء فى ربوع الغابات ، ومئات المباهج التى يسترها جناح الليل ، كل ذلك سيزخر به مستقبل حياتك التى سوف تقترن بحياتى ! لنــكن حبيبين ، حبيبين ســعيدين ! لنكن زوجين ! لابد من يوم تدركنا فيه الكهولة ، فدعينى أصارحك

بأن الحياة هو نسيج تومض في بعض مواضعه برغم بلى السنين بعض لحظات الحب ، ولولا تلك الشذرات اللامعة لما كانت سوى خرقة كئيبة !

(ضاحكا) انني كثيرا ما أفكر يا بلانش في كل هـــذه الأمور ، فأخرج منها بهذه الحـكمة ! لنحمـد الله ! ولنحب ، ولنستمتع بالحياة ، ونملأ بطوننا بأطيب الطعام !

بلانش : (مطرقة برأسها متراجعة) يا لأوهامى ! كم هـو بعيد الشبه عمن تخيلت !

الملك : ماذا ؟ أكنت تحسبيننى عاشقا مضطربا ســاذجا من زمرة هؤلاء المجانين العابسين ، الذين خمدت مشاعرهم فظنوا أن فى اطلاق الزفرات الملتاعة ما يكفى لترنوا اليهم أبصار النساء كافة ، وتهفو الأفئدة التى انبهرت بهم ؟

بلانش : (فى اعراض) دعنى ! يا لى من تعسة !

الملك : أتعرفين من نحن ؟ ان فرنسا وشعبها بأسره ، خمسة عشر مليونا من البشر ، ان الغنى والجاه والمتعة والسلطان الذى لا يقف دونه قانون ولا حائل ، كل ذلك ملك يمينى ورهن اشارتى · أنا الملك وستصحبين ملكة هذا الملك · بلانش ، أنا الملك ، وستكونين أنت الملكة ·

بلانش : الملكة ؟ وماذا عن زوجتك ؟

الملك : (ضــاحكا) يا للفضيلة والبراءة ! ألا ترين أن زوجتى ليست عشيقتى ؟

بلانش : أأكون عشيقتك ! كلا ·· يا للعار !

الملك : ياله من كبرياء !

بلانش : لست ملكا لك · لا · اننى ملك لأبى ·

الملك : ومن يكون أبوك ؟ تريبوليه ؟ هذا المجنون ، مهرج قصرى ؟ ان أباك ملك يدى ، أصنع به ما يروق لى ، ورغبته صدى رغبتى ·

بلانش : (منتحبة بحرقة ورأسها بين يديهــا) يا الهى ! ما أتعســك يا أبتاه ! ماذا ؟ كل شىء اذن ملك يديك ؟

(تجهش بالبكاء فيرتمى الملك تحت قدميها ليسرى عنها)

الملك : (بلهجة حانية) بلانش ! أنت عزيزة على ! بلانش ، لا تبك ٠
تعالى الى صدرى ٠

بلانش : (تقاوم) محال !

الملك : (فى حنان) لم تعيدى بعد على مسامعى انك تحبيننى ٠

بلانش : وا أسفاه ! لقد انتهى كل شىء ٠

الملك : لقد جرحت دون قصد مشاعرك ٠ لا تنتحبى كمن لا حول له ولا قوة ٠ انى لأوثر المنون ، أوثر أن يذاع عنى فى مملكتى ودوقيتى أننى ملك بلا شجاعة أو شهامة على ابكاء عينيك على هذا النحو ٠ ان ملكا يبكى سيدة لهو ملك جبان رعديد ٠

بلانش : (ذاهلة باكية) ان ما حدث لم يكن سوى دعابة ٠ أليس كذلك ؟ أنت الملك ، ولكن لى أب يبكى لفراقى ٠ أعدنى اليه ، اننى أقطن أمام قصر كوسيه ، ولكنك تعرف ذلك حق المعرفة ٠ آه ، من انت اذن ؟ اننى لا أعى مما جرى شيئا ، لقد حملونى بين صيحات التهليل والفرح ، وذلك كله مختلط فى ذهنى كالحلم ٠ (باكية) لم أعد أدرى حتى اذا كنت لا أزال أحبك ، أنت يا من توسمت فيه الوداعة والحنان ! (متراجعة فى رعب) أنت الملك ! اننى أخاف منك !

الملك : (محاولا ضمها بين ذراعيه) أخيفك أيتها الخبيثة !

بلانش : (وهى تصده) لا ٠٠ دعنى !

الملك : (يشدها اليه ويعانقها) ترى ماذا أبغى ؟ قبلة فيها الصفح !

بلانش : (فى محاولة للافلات منه) كلا !

الملك : (محدثا نفسه وهو يضحك) يالها من فتاة غريبة !

بلانش : (متخلصة من أحضانه) دعنى ! هذا هو الباب !

(تلمح باب مخدع الملك مفتوحا ، فتندفع الى الحجرة وتغلقها عليها بعنف)

الملك : (يناول مفتاحا ذهبيا صغيرا من حزامه) ان المفتاح معى ٠

(يفتح الباب ويدفعه بعنف ثم يدخل ويغلق الباب خلفه)

مارو : (ضاحكا ٠ وكان يرقب منذ آونة ما يدور من باب المؤخرة) لقد التمست الحماية فى مخدع الملك ! ما أشقاك أيتها الصغيرة !
(مناديا السيد دى جورد) تعال أيها الكونت ٠

المشـــهد الثالث

مارو ـ السادة النبلاء ـ تريبوليه

السيد دى جورد : (مخاطبا مارو) هل عاد ؟

مارو : ان الليث قد سحب الشاة الى عرينه ·

السيد دى باراديان : (قافزا من فرط الفـــرح) يالك من مســـكين يا تريبوليه !

السيد دى بيين : (وكان قائما بالباب وعيناه محدقتان الى الخـارج) صه ! انه قادم ·

السيد دى جورد : (مخاطبا النبـلاء بصوت خافت) الزموا الهـدوء ! ينبغى ألا يبدو علينا أى شىء ، ولنكن جميعا شديدى الحذر ·

مارو : فى مقدوره أيها السادة أن يتعرف على دونكم جميعا · فهـو لم يتحدث الا معى ·

السيد دى بيين : ينبغى ألا تظهر له شيئا ·

(يدخل تريبوليه · لم يتغير فيه شىء · عليه زى المهرج وفيــه لامبالاته · وان كان ممتقع الوجه شاحبه)

السيد دى بيين : (يبدو كأنما يواصل حديثا استهل من قبل ، ويحملق محذرا بعض النبلاء الشبان الذين يكبتون ضحكات مكتومة لدى رؤيتهم تريبوليه)

نعم أيها السادة · وعند ذاك ·· آه ، سعدت صباحا يا تريبوليه ! وعند ذاك صاغوا هذه الأغنية فى مقاطع

(يغنى) حين رأى الملك مرسيليا قال لرجاله

يالله ! أى قائد سنلقى فى هذا البلد

تريبوليه : (مكملا الأغنية) وعلى قمة جبـل الكولومب كان الممر ضيقا
فصعدوا جميعا دفعة واحدة ·

وهم ينفخون فى أصابعهم بغية الدفء ·

(ضحكات ساخرة وتصفيق حاد)

الجميع : بالضبط !

تريبوليه : (يواصل التقدم فى بطء حتى مقـدمة المنظر ثم يتحدث الى نفسه)

ترى أين يحتمل أن تكون ؟

(يمضى يدندن) فصعدوا جميعا دفعة واحدة

وهم ينفخون فى أصابعهم بغية الدفء

السيد دى جورد : (مصفقا) مرحى ، تريبوليه ، مرحى !

تريبوليه : (يتفرس فى كافة الوجوه التى تضحك من حوله ثم يتحدث الى نفسه)

لقد أسهم الجميع فى توجيه هذه اللطمة · هذا مالا شك فيه !

السيد دى كوسيه : (رابتا على كتف تريبوليـه وهـو يضـحك ملء شدقيه) ما وراؤك من جديد أيها المهرج ؟

تريبوليه : مخاطبا الآخرين وهو يشير الى السيد دى كوسيه) ان هـذا النبيل ليثير الفجع حين يضـحك · (مقلدا ما قاله السـيد دى كوسيه) ما وراؤك من جديد أيها المهرج ؟

السيد دى كوسيه : (ضاحكا دائما) نعم · ماذا جئت تفضى به الينا ؟

تريبوليه : (متطلعا اليه من قمة الرأس الى أخمص القدم) خلال الشطر الأول من المشـهد · يبـدو تريبوليـه كأنمـا يبحث ويفحص وينقب فيما حـوله ، وكثيرا ما تدل نظـراته وحـدها على الهم والتفـكير العميق ، وأحيـانا حين يعتقد أنه بمنأى عن العيـون يحرك قطعة من الأثاث من مكانها أو يدير قبضة باب ليرى ان كان موصدا · وفيما عدا ذلك فهو يتحدث الى الجميع كالعادة بأسلوب ساخر يتسم بالبساطة واللامبالاة ، والنبلاء من جانبهم يضحكون فيما بينهم همسا ، ويتبـادلون الاشـارات وهم يتحـدثون فى موضوعات شتى)

ترى أين أخفوها ؟ آه · لو سألتهم عنها فسيضحكون منى !
(يقترب من مارو ويخاطبه فى مرح) من دواعى سرورى أنك لم تصب بزكام ليلة الأمس ·

مارو : (مصطنعا المفاجأة) ليلة الأمس ؟

تريبوليه : (غامزا بعينه كأنما أدرك الأمر بذكائه) دعابة قاسية طربت لها !

مارو : أية دعابة ؟

تريبوليه : (وهو يهز رأسه) نعم !

مارو : (فى براءة) كل ما فعلت ليلة الأمس هو أننى آويت الى فراشى حين دقت ساعة حظر التجول ، والتففت بأغطيتى ، ولم أستيقظ الا مع بزوغ الشمس ·

تريبوليه : عجبا ! ألم تخرج ليلة الأمس ؟ لعلها كانت اضغاث أحلام !
(يلمح منديلا على الخوان فينقض عليه)

السيد دى باراديان : (متحدثا بصوت خافت الى السيد دى بيين) انظر أيها الدوق · انه يتأمل الحرف المطرز على منديلى ·

تريبوليه : (يسقط المنديل من يده ويتحدث الى نفســه) لا · ليس هذا منديلها ·

السيد دى بيين : (مخاطبا بعض الشبان الذين يضحكون فى المؤخرة) أيها السادة ! ··

تريبوليه : (محدثا نفسه) ترى أين هى ؟

السيد دى بيين : (مخاطبا السيد دى جورد) ما الذى يضحكك بهــذا بهذا الشكل ؟

السيد دى جورد : (مشيرا الى مارو) أقسم بأنه هو الذى يضحكنا ·

تريبوليه : (محدثا نفسه) انهم اليوم فى غاية السرور ·

السيد دى جورد : (مخاطبا مارو وهو يضحك) لا تحملق فى هــكذا بارتياب · والا قذفت بتريبوليه فوق أم رأسك ·

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى بيين) ألم يستيقظ الملك بعد ؟

السيد دى بيين : فى الحقيقة لا !

تريبوليه : أليست هناك ثمة حركة فى جناحه ؟

(يريد أن يدنو من باب المخدع فيقف فى وجهه السيد دى باراديان)

لا توقظ صاحب الجلالة !

السيد دى جورو : (مخاطبا السيد دى باراديان) أيها الكونت : لقد روى لنا هذا الأفاق مارو قصة طريفة عن الأخوة الثلاثة «جى» ، فعند عودتهم ليلة الامس ، ولا أدرى أين كانوا ، وجدوا ، آه ! ماذا قال هذا الاستاذ المخبول ؟ وجدوا زوجاتهم ــ الثلاث جميعا ــ مع آخرين .

مارو : فى خلوة ...

تريبوليه : لقد استبيحت الحرمات فى هذا الزمان !

السيد دى كوسيه : ما أشد غدر النساء !

تريبوليه : (مخاطبا السيد دى كوسيه) آه ، عليك بالحذر !

السيد دى كوسيه : ماذا ؟

تريبوليه : عليك بالحذر يا سيد دى كوسيه .

السيد دى كوسيه : ماذا ؟

تريبوليه : أرى حدثا فظيعا يتهددك .

السيد دى كوسيه : ماذا تقول ؟

تريبوليه : (فى استعلاء وسخرية) مغامرة على غرار هذه تماما .

السيد دى كوسيه : (مهددا فى سخط) الويل لك !

تريبوليه : يها السادة ! ان الحيوان لمشوق جدا الى المعرفة . هذه هى الصيحة التى يطلقها حين يستبد به الغيظ (مقلدا دى كوسيه) الويل لك !

(يضحك الجميع . ثم يدخل أحد النبلاء مرتديا زى حاشية الملك)

السيد دى بيين : ما وراءك يافو دراجون ؟

النبيل : ان مولاتى تريد لقاء الملك فى أمر عاجل .

(يومىء اليه السيد دى بيين باستحالة تنفيذ هذا الطلب فيصر النبيل) ولكن السيدة دى بريزيه ليست عنده .

السيد دى بيين : (بصبر نافذ) لم يستيقظ الملك .

النبيل : ماذا تقول أيها الدوق ؟ لقد كان معك توا .

السيد دى بيين : (يشتد به السخط ويومىء الى النبيل باشارات

لا يدركها هو وانما يلحظهـا تريبوليه بانتباه شـديد) ان الملك يصطاد !

النبيل : وحده طبعا · بغير حجاب أو مدربى كلاب · لأن هؤلاء جميعا هنا

السيد دى بيين : (محدثا نفسه) يا للشيطان !

(مخاطبا النبيل وهو يحدق فى عينيه بغضب) نقول لك أن الملك لا يستطيع لقاء أحد · أفهمت ؟

تريبوليه : (صائحا بصوت كالرعد) انها هنا ! هى مع الملك !

(يسود الدهشة بين الجميع)

السيد دى جورد : ماذا دهاه ؟ انه يهذى ! من هى ؟

تريبوليه : انكم تعلمون حق العلم ـ أيها السـادة ـ من أعنى ، وما من سـبيل لحملى على الانصراف · انها المخلوقة الكسـيرة التى قمتم باختطافهـا أنتم جميعا من دارى ليلة الامس : كوسـيه وبيين والشيطان وبريون ومونمورانس ، وأنت كذلك ضالع معهم يا سيد دى باراديان سوف أستردها أيها السادة · انها هنا ·

السيد دى بيين : (ضاحكا) لقد فقد تريبوليه خليلته ، وسواء أكانت وسيمة أم دميمة فليفتش عنها فى غير هذا المكان ·

تريبوليه : (فى صوت راعب) أريد ابنتى !

الجميع : ابنته ؟

(حركة استغراب ودهش)

تريبوليه : (متشابك الذراعين) انها ابنتى ! نعم · فلتضحكون الآن ! عجبا ، مالكم لا تنطقون ؟ أيدهشكم أن تروا هذا المهرج أبا وله ابنة ؟ أو ليس للذئاب وللنبلاء أسر ؟ أفلا يجوز أن تكون لى كذلك أسرة ؟ أفيقوا وكفى هذرا ! (بصوت مرعب) اذا كنتم تمزحون فهذا شىء لطيف · ولـكن لابد لهذا المزاح من نهـاية ! انى أريد ابنتى ، أريدها ، أوعيتم ما أقـول ؟ نعـم · انكم تتهامسـون وتتحدثون فى هذا الأمر هازئين ساخرين ، ولكنى لا أعبأ بمظاهر انتصاركم ·

أيها السادة ، انى أطالبكم بابنتى ·

(يقفز الى باب مخدع الملك) انها هنا !

(يصطف النبلاء جميعا ويقفون فى وجهه)

مارو : لقد تحول جنونه الى سعر ٠

تريبوليه : (متراجعا فى يأس) أيتها الحاشية ، أيها الأبالسة ، أيهـا الجنس اللعين ! لا مراء فى أنهم سرقوا ابنتى هؤلاء القراصنة ! ان المرأة لا تســاوى فى نظرهم شرو نقير ! وحين يكــون الملك ــ لحسن الحظ ــ ملك الدعار ، وحين يكون النبــلاء على حــذق ولباقة ، ففى وسع الزوجات أن يفدنهم أجل الفوائد ٠ أما شرف العذراء فهو فى حســابهم ترف لا فائدة منه وأمانة ثقيلة العبء ، والمرأة ما هى الا حقل يغل ، أو ضيعة يوفى ايجــارها الملكى فى أجل معلوم ، اما نعم تغدق عليهم بالمئات ولا أدرى من أين ، واما منصب خطير أو قلادة تزين العنق أو ســيل من المنح يجرى بلا انقطاع ٠ (يتفرس فى وجوه الجميع) ألا أجد من بينــكم أحدا يكذبنى ! أليس هذا فى الواقع هو الصدق بعينه ؟ (يدور عليهم كل بدوره) انكم جميعا تودون أن تبيعوا له ، ان لم يكن قد بعتم له بالفعل ، لقاء لقب أو رتبة وما الى ذلك من الخرافات ٠ (مخاطبا السيد دى بريون) أنت يا بريون تبيع له زوجتك ! (مشيرا الى السيد دى جورد) وأنت أختك ! (مشيرا الى الشاب بارايان) وأنت أمك !

حاجب : (يصب كأسا من النبيذ وهو جالس الى الخوان ، ثم يأخذ فى الشراب وهو يدندن)

حين رأى الملك مرسيليا قال لرجاله :

يالله ! أى قائد سنلقى فى هذا البلد

تريبوليه : (مستديرا) لا أدرى لم يحرص يا فيكونت دوبوسون على أن أحطم بين أسنانك كأسك وأغنيتك ! (مخاطبا الجميع) ترى من يصدق أن أدواقا وأمراء وكبراء من بلاد الاسبان ٠ يا للعار ! من يصدق أن ملكا من سلالة شرلمان ، وبريون من حفدة أمير ميلانو ، وجــورد سيميان ، وبيين ، وبارادبان ، وأنت يا موغورانسى ألمع ما عرف من أسماء ، تسلبون من شقى ابنته ؟ كلا ٠ محــال أن ينتسب الى هذه البيوتات العريقة من يكن تحت شعاراتها الرفيعة نفســا وضيعة ! كلا ٠ لســتم أبناء تلك الأسر ، فبين غمرات

السخرية والمجون زنت فيكم أمهاتكم مع الخدم ، فأنتم جميعا أبناء سفاح !

السيد دى جورو : ماذا ؟ هذا كلام غريب !

تريبوليه : كم بذل لكم الملك ، لتبيعوا له فلذة كبدى ؟ لقد نقدكم ثمن الصفقة · تكلموا ! (يشد شعر رأسه) لو اننى رغبت ، وأنا ليس لى سواها ، لنقدنى يقينا ثمنها ، وهى من جمعت ولا شك بين الصبا والجمال !

(متطلعا اليهم) أيظن ملككم انه يقدر لى على شىء ؟ أيستطيع أن يضفى على جاها كجاهكم ؟ أيستطيع أن يجعل منى مخلوقا وسيما أحسن خلقه كسائر البشر ؟ يا للسعير ! لقد سلبنى كل شىء ! الا أن هذه المكيدة البارعة الوضيعة الفاجرة دبرت فى خسة وجبن ! أيها الأشرار ، أيها السفاحون ! انكم قراصنة لصوص فجرة ، تستطيعون تعذيب النساء ! لابد لى من ابنتى أيها السادة · لابد لى منها أخيرا ! هل ستعيدونها الى فورا ؟ آه ، أترون هذه اليد ؟ انها يد عديمة الأثر ، يد رجل من السوقة ، يد رقيق جلف · ألا ان هذه اليد التى تبدو للساخرين عزلاء بلا سيف ، لهى يد ذات أظفار أيها السادة أيخيل الى اننى انتظرت طويلا ! أعيدوها الى · هذا هو الباب · افتحوا الباب · (ينقض مرة أخرى فى سورة هياج على الباب ، فيهب لحمايته النبلاء جميعا يقاوم المهرج لفترة ثم يعود فيتهاوى فى مقدمة المسرح ، محطما لاهثا ، خائر القوى جاثيا على ركبتيه) أتقفون جميعا فى وجهى ؟ عشرة يتصدون لواحد !

(يستسلم للبكاء والنشيج) دعونى أبكى · نعم !

(مخاطبا مارو) أى مارو ، لقد انتشيت على حسابى بما فيه الكفاية ، فان كنت لا تزال تطوى تحت ردائك المطرز ثمة ضمير حى وعقل ملهم واحساس العامة فخبرنى أين أخفوها وماذا فعلوا بها ! انها هنا ، أليس كذلك ؟ لندع هؤلاء الملاعين الأشرار ، ولنتحدث فيما يعنينا كأخوة ، انك تتصف دون سائر النبلاء بالحكمة والحجى يا مارو · أى صديقى الكريم مارو ! مالك تلوذ بالصمت ؟

(زاحفا على الأرض فى اتجاه النبلاء) أواه ! انظروا ! هأنذا جاث

يا سادتى تحت أقدامكم ألتمس الصفح والغفران ! اننى مريض ٠٠
أناشدكم الرحمة ! ربما كنت أحتمـل هـذا الكيـد فيما مضى ،
ولكنى كما ترون ، أعانى فى كل خطوة آلاما مبرحة فى جسدى
لا أفضى بها الى أحد ، وهكذا يعيش الأشوه أيامه فى شقاء وتعس٠
اعفوا عنى ، فانى مهرجكم من سنين عديدة ! رحماكم ٠ لا تحطموا
هكذا دميتكم ، لا تحطموا تريبوليه المسكين الذى طالما أضحككم !
صدقونى ، لم أعد أدرى الآن ما أقول لكم ٠ ردوا الى طفلتى أيهـا
السادة ! ردوا الى ابنتى التى تخفونها فى مخدع الملك ٠ انهـا
ذخرى ومالى سواها من ذخر ، رحمة بى أيها السادة النبلاء ! ماذا
تتوقعون منى بدون ابنتى ؟ يا لسوء مصيرى ، لقد كانت كل مالى
من حطام الدنيا !

(يلـوذ الجميع بالصـمت فينهض فى يأس) يالله ! ألا تعرفون
سوى الضحك أو الصمت ؟ انها لمتعة كبرى اذن أن تروا أبا بائسا
يئن قلبه جراحا ، وينزع من مفرقة شعرات تكفل بياضها ليلتان
من هذا القبيل !

(ينفتح باب مخدع الملك بغتة وتخرج منه بلانش شاردة اللب ٠
شـعثاء الشعر ذاهلة ، فترتمى بين ذراعى أبيهـا وتطلق صرخـة
رهيبـــة) ٠

بلانش : أبتاه !

تريبوليه : (يضمها بين ذراعيه) طفلتى ! أواه ! انها هى ٠ ها هى ذى
ابنتى أيها السادة ! (تخنقه العبرات والضحكات) أترون ؟ انهـا
كل أهلى ، انها ملاكى ، وبدونها يتشح بالسواد دارى ! ألست
محقا يا سادتى فى أن أحدا لا يستطيع لومى على حزنى والتياعى ،
وأن فى مجرد رؤية هذه الطفلة الجذابة الوادعة ما يثلج الصدر ،
وأن النفس لابد ذاهبة على فقدها حسرات !

(مخاطبا بلانش) لا تخشى بعد الآن شيئا يا ابنتى ، لقد كانت
مجرد دعابة ، كانت ضربا من المزاح ٠ أراهن انك تشعرين بالرعب
منهم ، ولكنهم قوم كرام النفس ٠ لقد أدركوا مدى محبتى لك
وسيدعونا من اليوم نحيى فى هدوء وسلام ٠ (مخاطبا النبلاء)
أليس كذلك ؟ (مخاطبا بلانش) ما أسعدنى بلقياك ! ان قلبى
الآن مفعم بالغبطة حتى اننى لا أدرى ما اذا كان يسعدنى أن أفقدك

برهة لكى أعود بعدها فأجدك · اننى أضحك وكنت من قبل أبكى عليك · (يتأملها بقلق) ولكن فيم بكاؤك ، أنت ؟

بلانش : (مخيفة بيديها وجها كستة الدموع وحمرة الخجل) يا لنا من تعساء ! العار ··

تريبوليه : (منتفضا) ماذا تقولين ؟

بلانش : (مخفية وجهها فى حضن أبيها) ليس على مســمع من هؤلاء الرجال · سأفضى بعارى لك وحدك ·

تريبوليه : (متجها فى سورة غضب صوب باب الملك) يا للفــاجر ! حتى هذه أيضا !

بلانش : (تجهش بالبكاء وتهوى تحت قدميه) أود أن أنفرد بك !

تريبوليه : (يخطو بضع خطوات ثم يشير الى النبلاء الواجمين) انصرفوا من هنا آ واذا اجترأ فرانسوا ــ لسوء حظه ــ على المرور قريبا من هنا ·· (مخاطبا السيد دى فرماندوا) أنت من حراسة ، فعليك أن تخطره بألا يدخل ، واننى هنا ·

السيد دى بيين : لم أر من قبل مجونا بهذا الشكل ·

السيد دى جورو : (مومئا اليه بالانسحاب) لا تثريب على المجانين كما لا تثريب على الصغار · وعلى كل لنكن من أمرنا على يقظة ، خشية أن يقع مالا يحمد عقباه ·

(ينصرفون)

تريبوليه : (متربعا على مقعد الملك · يرفع ابنته ، ثم يخاطبها فى صوت هادىء رهيب) هيا ، تحدثى ، قصى على ما حدث كاملا ·

(يلتفت فيلمح السيد دى كوسيه وكان قد تخلف · يهم تريبوليه الى منتصف قامته ويشير له الى الباب) ألم تسمعنى يا سيدى ؟

السيد دى كوسيه : (منسحبا كأنما يذعن لسلطان المهرج) ان المجانين يفاخرون باستباحة كل شىء ·

(ينصرف)

المشـهد الرابع

بلانش - تريبوليه

تريبوليه : (فى لهجة جادة) والآن تكلمى ٠

بلانش : (مطرقة الرأس ، تنشج بين الحين والحين بالبكاء) ينبغى أن أقص عليك يا أبتاه أنه تسلل الى الدار ليلة أمس ٠٠ (باكيـة ويداها على عينيها) اننى خجلة ! (يضمها تريبوليه بين ذراعيه ويمسح جبينها بحنـان) منذ أمد بعيـد - وكان على أن أعلمك سلفا - كان يتابعنى ٠٠

(نقطع حديثها مرة أخرى) ينبغى أن أستهل من البداية ٠٠ لم يكن يخاطبنى ٠ فاتنى أن أذكر لك أن هذا الشاب كان يتردد على الكنيسة أيام الآحاد ٠

تريبوليه : نعم ٠ الملك ؟

بلانش : (مواصلة حديثها) وأذكر انه كان يهز دوما مقعدى حين يمر بجوارى حتى ألتفت اليه ٠

(بصوت يزداد وهنا) وبالأمس استطاع أن يدخل الدار ٠٠

تريبوليه : دعينى أوفر عليك مرارة الافضاء ٠ اننى أحزر بقية ما حدث! (ناهضا) يا للهول ! لقد دفع بالخزى والعار جبينك ، ودنست أنفاسه هذا الجو النقى الذى يحيطك ، ونزع بضراوة تاج عفافك! أى بلانش ! انت ملاذى فيما أنا عليه من حال ، وسنا النهار الذى يوقظنى حين أدلف من دجى ليلهم ٠ أنت الروح التى ترقى بروحى الى عالم الفضيلة ، وستر الـكرامة الذى ينبسـط فوق مذلتى ٠ أنت الراحة لهذا اللعين الذى أشاح الكل عنه ، والملاك الذى نسيته رحمة الله لديه ! يا للسماء ! لقد ضاع ودفن فى أدران الوحـل أقدس ما آمنت به فى هذا الوجـود ! ترى ما مصـيرى اثر هذه

المشـهد الرابع

بلانش ـ تريبوليه

تريبوليه : (فى لهجة جادة) والآن تكلمى ٠

بلانش : (مطرقة الرأس ، تنشج بين الحين والحين بالبكاء) ينبغى أن أقص عليك يا أبتاه أنه تسلل الى الدار ليلة أمس ٠٠ (باكيـة ويداها على عينيها) اننى خجلة ! (يضمها تريبوليه بين ذراعيه ويمسح جبينها بحنـان) منذ أمد بعيـد ـ وكان على أن أعلمك سلفا ـ كان يتابعنى ٠٠

(نقطع حديثها مرة أخرى) ينبغى أن أستهل من البداية ٠٠ لم يكن يخاطبنى ٠ فاتنى أن أذكر لك أن هذا الشاب كان يتردد على الكنيسة أيام الآحاد ٠

تريبوليه : نعم ٠ الملك ؟

بلانش : (مواصلة حديثها) وأذكر انه كان يهز دوما مقعدى حين يمر بجوارى حتى ألتفت اليه ٠

(بصوت يزداد وهنا) وبالأمس استطاع أن يدخل الدار ٠٠

تريبوليه : دعينى أوفر عليك مرارة الافضاء ٠ اننى أحزر بقية ما حدث! (ناهضا) يا للهول ! لقد دفع بالخزى والعار جبينك ، ودنست أنفاسه هذا الجو النقى الذى يحيطك ، ونزع بضراوة تاج عفافك! أى بلانش ! انت ملاذى فيما أنا عليه من حال ، وسنا النهار الذى يوقظنى حين أدلف من دجى ليلهم ٠ أنت الروح التى ترقى بروحى الى عالم الفضيلة ، وستر الـكرامة الذى ينبسـط فوق مذلتى ٠ أنت الراحة لهذا اللعين الذى أشاح الكل عنه ، والملاك الذى نسيته رحمة الله لديه ! يا للسماء ! لقد ضاع ودفن فى أدران الوحـل أقدس ما آمنت به فى هذا الوجـود ! ترى ما مصـيرى اثر هذه

الضربة القاضية وأنا الذى ـ من هذا القصر الواعر ـ رضيت أم كرهت ـ لا أرى على ظهر البسيطة سوى الرذيلة والفساد والوقاحة والفجر والفسق والعار ، وليس لى تحت عرش السماء ما تقربه عينى سوى عذريتك وطهرك ؟ لقد أذعنت ورضيت بما قدر لى من شقاء وبؤس !

ان الدمع والذل الأصـيل فى النفس وليس من سـبيل غيره ، والـكبرياء الذى ينزف على الدوام وما فى أعماق قلبى الكسـير ، وضحكات المهانة التى تشحذ من أوجاعى ·· نعم ، ان تلك الآلام جميعها ، مزيجة بالعار ، قد ارتضيتها يارب لنفسى وليس لها ! فبقدر ما كنت أوغل فى السقوط كنت أنشد لها علوا · فلابد من هيكل مقدس بالقـرب من المقصـلة · وأحر قلباه ! لقد انقلب رأسا على عقب ! نعم أخفى جبينك وابكى يا طفلتى الغالية ! لقد جعلتك تتحدثين طويلا من هنيهة ، أليس كذلك ؟ أبكى ما شاء الله لك البـكاء ، ففى مثل سنك قد ينصرف مع الدمع أحيـانا بعض الألم · اسفحى ان استطعت كل دمعك فى صدر أبيك ! (حالما) سنرحل عن باريس يا بلانش حالما أفرغ مما بقى على القيام به ، لو خلصت منه ! (حالما دائما) ماذا ؟ أولا يكفى يوم واحد ليتبدل الحال غير الحال ؟

(ينهض فى ذعر) يا للعنة ! من كان فى وسـعه أن ينبئنى أن زبانية هذا القصر الفاجر الجامح المحموم ، أولئك الذين دأبوا على الكر والفر ساحقين تحت أقدامهم المرأة والطفـل ، مقـارفين كل ما نهى الله عنه ، يمحون كل كبيرة بأخرى أفحش منها ، وينشرون الى مدى بعيد فيض الدماء والوحل ، قد مضوا الى أغوار الظلام حيث تعيشين بمنأى عن أعينهم ، ليدنسوا هذا الجبين النقى الطاهر !

(ملتفتا الى غرفة الملك) أيها الملك ! قادر ربى وهو لدعائى سميع أن يزل قدمك فى هذا الطريق الوبيل ! قادر ربى أن يفتح لك فى غد هذا القبر الذى تسارع اليه !

بلانش : رب لا تسمع له دعاء ، فانى أحبه الى الأبد !

(يسمع فى المؤخرة وقع خطوات ، وتظهر فى البهـو الخـارجى شرذمة من الجند والنبلاء يقودهم السيد دى بيين)

السيد بيين : (مناديا) يا سيد دى مونشينو أمر بفتح القضبان لاقتياد السيد دى سان فالييه الى سجن الباستيل ٠

(يسير الجند مثنى مثنى فى المؤخرة ، وحين يمر السيد دى سان فالييه وهو برفقتهم أمام الباب يتوقف ويلتفت نحو مخدع الملك)

السيد دى سان فالييه : (فى صوت جهـورى) لمـا كانت لعنتى على مليككم الذى ارتوى سبابا ولعنات لم تجد بعد على الأرض ولا فى السماء من مستجيب ـ كأن يبطش به ساعد بشر أو تنقض عليـه من عليين صاعقة ـ فقد خاب عندى كل أمل ورجاء ، ولسـوف تطيب الحياة لهذا الملك ٠

تريبوليه : (رافعا رأسه محدقا فى وجهـه) لقد أخطأت الرؤيا أيهـا الكونت ، فثمة انسان سيتولى الثأر لك ٠

الفصل الرابع

بلانش

ساحل رملي مهجور يجاور بوابـــة باريس القديمة . على اليمين حطام وكر حقير ، أثث بآنية ضخمة من القصدير ومقاعد من خشب البلوط . يعلو الوكر برج على نافذته حصير . يتغلغل الضوء فى الواجهة المطلة على النظارة بحيث يبين ما فى داخل الوكر : خوان ومدفاة وسلم منحدر فى المؤخرة يؤدى الى البرج . اما الواجهة الامامية ، وهى على يسار الممثل فيها باب يفتح الى الداخل . الجدار مخلخل اللبنات تعتوره شقوق وصدوع مما يتيح للمرء أن يرى من خلالها مايدور فى الداخل. تنبسط على الباب من الخارج شرعة ، وبالباب كـــوة صغيرة تسدها قضبان وتعلوه لافتة تشير الى فندق قروى . يشغل الساحل الرملي بقيـــة المنظر ، فعلى اليسار جسر عتيق متداع يجرى من تحته نهر السين ، وتلتحم به ذراع جرس الفليون ، وفى المؤخرة تمتد من وراء النهـــر مدينة باريس القديمة .

المشــهد الأول

تريبوليه ـ بلانش (في الخارج)

سالتا باديل (في داخل الوكر)

(يبدو تريبوليه خلال هذا المشهد قلقا مهموما كأنما يخشى أن يراه أو يعطله أو يفاجئه أحد ، فهو يختلس النظر دائما فيما حوله لا ســـيما ناحية الوكر . يجلس سالتا باديل في فنـدقه بالقـرب من الخـوان عاكفـا على تنظيف حميلة سيفه ، دون أن يسمع شيئا مما يدور بجواره)

تريبوليه : وهل أنت تحبينه ؟

بلانش : الى الأبد .

تريبوليه : برغم أنني أفسحت لك من الزمن حتى تبرئي من تباريح هذا الهوى المجنون !

بلانش : انني أهواه .

تريبوليه : ياله من قلب امرأة ! ولكن فسري ما يدعوك الى حبه .

بلانش : لا أدري .

تريبوليه : هذا أمر فريد في بابه ! هذا شيء عجيب !

بلانش : آه ، كلا . بل هو ذلك في الحق مايدعوني الى حبه . ان الواحدة منا قد تصادف أحيانا ثمة رجل ينقذ حياتها ، أو زوج يثريها وتحسد عليه ، فهل تحب هذا أو ذاك دائما ؟ أما عنه ، هو ، فلم أصب منه سوى الضر . ورغم ذلك أحبه ، ولا أدرى السبب . أترى الى أي حد لا أنسى شيئا ؟ ولئن اقتضى الأمر ـ وتأمل هنا مدى جنوني ـ أن أفديك وأنت بشير الخير لي ، أو أفديه وهو نذير الشر لي ، فانني أبذل يا أبتاه حياتي من أجله كما أبذلها من أجلك !

تريبوليه : لقد غفرت لك ماتقولين يا طفلتى !

بلانش : ولكن · اسمع ، انه يهوانى ·

تريبوليه : لا · انك مجنونة !

بلانش : لقد أفصح لى عن هواه ، بل وأقسم على ذلك ! ثم هو يجيد الكلام فى لهجة الغالب الآمر عن شـئون الحب ، مما يسلب اللب ! ثم له عنيان وادعتان تستعذ بهما المرأة ! انه ملك شهم عظيم وجميل !

تريبوليه : (منفجرا) انه فاجر ! سوف لايقال عن هذا المغرر الجبان أنه انتزع منى هنائى بلا قصاص !

بلانش : ولكنك عفوت يا أبتاه ··

تريبوليه : سأقتص من منتهك الحرمات ! كان لابد لى من فسحة من الزمن لأنصب الشرك ، وهأنذا ·

بلانش : منذ شهر — وانى أحدثك وأنا واجفة — كان يبدو انك تكن الحب للملك ·

تريبوليه : انى أتظاهر بذلك · (فى ثورة عارمة) سوف انتقم لك يا بلانش!

بلانش : (متضرعة) أشفق على من هذا يا أبتاه !

تريبوليـــه : ألا يسرى الى قلبك — على الأقل — شيء من الغضب اذا كان يخدعك ؟

بلانش : يخدعنى ؟ كلا · لا أعتقد ذلك ·

تريبوليه : واذا رأيته بعينى رأسك ، خبرينى ، أتظلين على حبه ان كان لايحبــك ؟

بلانش : لا أدرى — انه يحبنى ، وذكــر لى أنه يعبــدنى ، هذا ما قاله بالأمس !

تريبوليه : (فى مرارة) فى أية ساعة ؟

بلانش : مساء الأمس ·

تريبوليه : حسنا ! تعالى اذن ، وانظرى ان كنت تستطيعين الرؤية !
(مشيرا لبلانش الى شق فى جدار البيت ، فتنظر من خلاله)

بلانش : (هامسة) لا أرى سوى رجل ·

تريبوليه : (هامسا كذلك) انتظرى قليلا ٠

(يظهر الملك فى قاعة الفندق فى زى ضابط ، ثم يدخل من باب صغير يؤدى الى غرفة مجاورة) ٠

بلانش : (منتفضة) أبتاه !

(تظل بلانش طوال المشهد التالى ملتصقة بشــق الجدار ، تسترق السمع وتختلس النظر الى كل مايدور فى داخـــل القاعة ، ساهية عما سواه ، وتعتريها بين الحين والحين رعدة يرتجف لها الجسد) ٠

المشــهد الثانى

نفس الأشخاش ــ الملك ثم ما جيلون

(يربت الملك على كتف سالتا باديل ، فيلتفت هذا اليه ٠ ويرتبك بغتة فيما يفعل)

الملك : مطلبان على الفور !

سالتا باديل : ماذا ؟

الملك : أختك وكأسى

تريبوليه : (من الخارج) هكذا طبع ٠ ان هذا الملك ــ بفضل الله ــ كثيرا ما يعرض للهلاك حياته ، فهو يرتاد وحده أكثر من وكر ، وما يثمله من خمر ويدير رأسه لهو ما يسقاه فى أزرى الحانات ٠

الملك : (فى بهو الحانة يغنى) ٠

كثيرا ما تكون المرأة قلبا !

ومن يثق بها فهو مجنون

وكثيرا ما تكون المرأة كريشة فى مهب الريح !

(يمضى ســـالتا باديل فى هدوء الى لغرفة المجاورة ويعود بزجاجــة وكأس يضعهما على الخوان ٠ ثم يطـرق السقف طرقتين

بقبضة سيفه الطويل ، وعلى أثر تلك الاشارة تهبط الدار قفزا فتاة حسناء ، ضاحكة البسن رشيقة القد ترتدى زى الغجر ، واذ تدخل البهو يحاول الملك عناقها فتفلت منه) ٠

الملك : (مخاطبا سالتا باديل وهو يواصل فى جد دعك حميلة سيفه) ستغدو حميلتك أكثر بريقا يا صديقى لو انك تمضى لتنظيفها ــ بعض الوقت ــ فى الهواء الطلق !

سالتا باديل : فهمت ٠

(ينهض ويحيى الملك فى جفاء ثم يفتح الباب وينصرف ، ويعيد غلق الباب وراءه واذ يخرج من البيت يلمح تريبوليه فيتوجه اليه خلسة ، وبينما يتبادلان بعض العبارات تعمد الفتاة الى اثارة الملك ٠ تتأمل بلانش هذا المشهد فى فزع ٠ يتحدث سالتا باديل الى تريبوليه همسا وهو يشير بأصبعه الى البيت) ٠

أتريده حيا أم ميتا ؟ ان غريمك ها هنا فى قبضتنا ٠

تريبوليه : عد بعد لحظة ٠

(مشيرا اليه أن يبتعد ، فيتوارى سالتا باديل فى خطى ثقال خلف الجسر العتيق ، وفى تلك الأثنـاء يراود الملك الفتـاة الغجرية فتصده ضاحكة) ٠

ماجيلون : (والملك يبتغى ضمها) نانى !

الملك : حسنا ٠ لقد قسوت فى ضربى منذ لحظة وأنا أحاول عناقك ، والآن تهتفين بى « نانى » ! انه نجاح عظيم ! انها خطوة كبرى ٠ أرى أنها تتراجع دائما ! تعالى بنا نتناجى (تدنو منه الغجرية) منذ أيام ثمانية ، وكان ذلك فى فندق هرقل ، ترى من قادنى اليه ؟ أظنه تريبوليه ــ هناك التقيت لأول مرة بعينيك الجميلتين ، ومنذ ذلك الحين وأنا أعبدك يا طفلتى الجميلة ، اننى لا أهوى سواك !

ماجيلون : (ضاحكة) بالاضافة الى عشرين أخر ! سيدى ، يبدو أنك فاجر بكل معنى الكلمة ٠

الملك : (ضاحكا بدوره) نعم ٠ لقد أتعست فى الواقع أكثر من امرأة ، هذا حق ٠ اننى مارد جبار !

ماجيلون : ياله من غرور !

الملك : ثقى فيما أقول ــ لقد استدر جتنى هذا الصــباح الى وكرك ، هذا الفندق المريب ، الذى يقدم لرواده أردأ الطعام وخمرا مما يصنعه شقيقك ، ذلك الحيوان الدميم ، ولابد أنه مخلوق عجيب ، شط به التبجح فاجترأ على أن يظهر خشمه بجوار ثغرك الجميل · لكن الأمر سواء على كل حال ، ولقد عولت على قضاء الليلة هنا ·

ماجيلون : (محدثة نفسها) حسنا · انه يسعى الى حتفه بظلفه !

(تخاطب الملك بينما يحاول مرة أخرى عناقها) دعنى !

الملك : يالك من مشاغبة !

ماجيلون : كن عاقلا حكيما !

الملك : هاك الحكمة ياعزيزتى ، لنحب ، ولنستمتع بالحياة ونملأ بطوننا بأطيب الطعام ! وفى ذلك أتأسى بسليمان الحكيم ·

ماجيلون : انك تشهد ألحانه أكثر مما تشهد الوعظ ·

الملك : (مادا لها ذراعه) ما جيلون !

ماجيلون : (فالتة منه) غدا !

الملك : ساقلب الخوان رأسا على عقب ان أعدت على مسممعى هذه الكلمة البغيضة القاسية ·

حاشا لفتاة رائعة الحسن أن تقول غدا ·

ماجيلون : (تذعن فجأة ، وتمضى فتجلس فى مرح الى الخوان بالقرب من الملك) حسنا · لنعقد الصلح ·

الملك : (متناولا يدها) يالله ! ما أجمل هذه اليد ! انه لأفضل للمرء ــ ان لم يكن حبرا تقيا ــ أن يصفع بهذه اليد من أن يلاطف بيد أخرى !

ماجيلون : (منتشية) أتسخر !

الملك : أبــدا ·

ماجيلون : اننى قبيحة الشكل ·

الملك : كلا · ولا ينبغى أن تبخسى من قدر محاســنك العلوية · اننى أتلظى ! ألا تعلمين يا ملكة الطغاة كم يستبد بنا الوجد ــ نحن معشر

الضباط ـ وحين يسكن الينا الجمال ويلوذ بنا نغدو نارا حامية لاتبقي ولا تذر ؟

ماجيلون : (منفجرة في الضحك) لعلك قرأت ذلك في بعض الكتب ·

الملك : (محدثا نفسه) يحتمل · (بصوت مرتفع) قبلة !

ماجيلون : على رسلك ! انك ثمل !

الملك : (مبتسما) من خمر الهوى !

ماجيلون : انك تمزح في رقة وخفة أيها السيد اللاهي الطروب ·

الملك : آه ، كلا (يقبلها) ·

ماجيلون : كفى !

الملك : أريدك زوجة ·

ماجيلون : (ضاحكة) أجاد فيما تقول ؟

الملك : يالك من فتاة لعوب مجنونة !

(يجلسها على ركبتيه ويتحدث اليها بصوت خفيض فتضحك متظاهرة بالظرف · لاتقوى بلانش على مزيد من الاحتمال ، فتلتفت واجفة الى تريبوليه وهو جامد كأن على رأسه الطير) ·

تريبوليه : (بعد ما تأملها في سكون لحظة) حسنا · ما قولك في الثأر يا صغيرتي ؟

بلانش : (هامسة لاتقوى على الكلام) يا للغدر ! يا للجحود ! رباه ! ان قلبي ينفطر · أواه ، كم خدعني لأنه عديم الضمير ! لكن الأمر في منتهى البشاعة ! انه يقول لهذه المرأة ما سبق أن ردده على مسامعي من قبل ·

(مخفية رأسها في صدر أبيها) ترى هذه المرأة داعرة ؟ ويلي ··

تريبوليه : (متجهما في صوت خافت) اسكتي وكفي عن البكاء ، ودعيني أنتقم لك ·

بلانش : (متداعية) وأحر قلباه ! اصنع ما شئت ·

تريبوليه : (هاتفا في غبطة) شكرا !

بلانش : رباه ! انك مخيف يا أبتاه . ماذا انتويت ؟

تريبوليه : (بانفعال شديد) كل شيء معد ، ووفرى عتابك ، فقد ضاق به صدرى . اصغىالى : اذهبىالى الدار، وخذى منها ملابس مما يرتديه الرجال وجوادا ونقودا ، خذى أى مبلغ كان ، ثم انطلقى دون توقف فى الطريق المؤدى الى مدينة « افرو » وسألحق بك هناك بعد غد . أتعرفين الصوان القريب من صورة أمك ؟ فيه ستجدين الملابس . ولقد قصدت الى اعدادها سلفا ، أما الجواد فعليه سرجه . ينبغى أن يتم كل شيء كما رسمت . اذهبى ، واياك أن تعودى ، فسوف يقع هنا حادث فظيع ، اذهبى .

بلانش : (جامدة من الخوف) تعال معى يا أبى الحنون !

تريبوليه : محال . (يعانقها ويشير اليها بالانصراف) .

بلانش : ويلى ! اننى أرتجف .

تريبوليه : الى اللقاء ! (يعانقهـــا مرة أخرى ثم تنسحب وهى تترنح) افعلى ما أمليت عليك . (خلال هذا المشهد والمشهد التالى يوصل الملك وما جيلون شجارهما وحديثهما فى ضحك . مختلفين دائما فى القاعة السفلى . وحين تبتعد بلانش يمضى تريبوليه الى الجسر . يومىء باشارة فيظهر فى الأفق سالتا باديل . يوشـــك النهـار على زوال) .

المشـــهد الثالث

تريبوليه ، سالتا باديل (فى الخارج)
ماجيلون ، الملك (فى الوكر)

تريبوليه : (محصيا دنانير ذهبيـــة أمام سالتـــا باديل) انك تطالبنى بعشرين دينارا ــ هاك منها مقدما عشرة .

(يتوقف وهو يعطيه الدنانير) أواثق أنت من أنه سيقضى ليلته هنا؟

سالتا باديل : (ماضيا يتفحص الأفق قبل أن يجيب) الغيوم تزحف ·

تريبوليه : (محدثا نفسه) فى الواقع ، هو لاينام دائما فى قصر اللوفر ·

سالتا باديل : لتطمئن بالا · سينهمر المطر قبل أن تنقضى الساعة ، ومن ثم ستعمل العاصفة وشقيقتى على احتجازه ·

تريبوليه : سأعود حين ينتصف الليل ·

سالتا باديل : لاتجشم نفسك هذا العناء · ففى وسعى أن ألقى جثته فى نهر السين وحدى ·

تريبوليه : كلا · بل أود أن ألقيها بنفسى ·

سالتا باديل : لك ماتشاء · سأسلمك اياها فى غرارة محكمة القفل ·

تريبوليه : (مسلما اياه النقود) حسنا الى الملتقى فى منتصف الليل · سأدبر لك بقية المبلغ ·

سالتا باديل : سوف تجرى الأمور على مايرام · ما اسم هذا الشاب ؟

تريبوليه : اسمه ؟ أو تريد أن تعرف اسمى أيضا ؟ انه يدعى الجرم وأنا القصاص ! (ينصرف)

المشهد الرابع

نفس الأشخاص ما عدا تريبوليه ·

سالتا باديل : (وحده يتفحص الأفق تنساب اليه الغيوم · جن الليل أوكاد ، ويظهر وميض برق) أرى العاصفة آتية ، والغيوم تلتف بالمدينة · هذا من يمن الطالع · سيغدو الساحل عما قليل أشد اقفرارا (فى تفكير عميق) بقدر ما أستطيع الحكم فيما يجرى من أمور أشهد أن هؤلاء الناس جميعا قد اعتراهم مالا أدرى ! ليقبضنى الشيطان ان كنت أحدس أكثر من هذا !

يتأمل السماء وهو يهز رأسه ، بينما الملك ســادر فى مجونه مع ما جيلون) ٠

الملك : (محاولا الأمساك بخاصرتها) ماجيلون !

ماجيلون : (تفلت منه) تمهل !

الملك : يا لك من فتاة خبيثة !

ماجيلون : (تغنى) ان البراعم التى تتفتح فى ابريل ٠

تلقى فى الدنان بخمر قليل

الملك : ما أجمله من منكب ، ومن ذراع يا عدوتى الفاتنـــة ! ما أنصع بياضه ! يا الهى ما أجمـــل خلقها ! لم كان على الله ـ خالق هذين الذراعين الجميلين العاريين ـ أن يضع فى جســدك هذا ـ جسد ڤينوس الخالدة ـ قلبا قد من حجر ؟

ماجيلون : (مواصلة صدودها) كفى ٠ ان أخى قادم ٠

(يدخل سالتا باديل ويغلق الباب خلفه)

الملك : انى لا أحفل به !

(يسمع دوى الرعد على مبعدة)

ماجيلون : أسمع رعدا ٠

سالتا باديل : سينهمر الغيث كالسيل العارم ٠

الملك : (رابتا على كتف سالتا باديل) حسنا ٠ دعها تمطر ٠ يطيب لى الليلة أن أختار غرفتك لى سكنا ٠

ماجيلون : (ساخرة) هذه ارادتك السنية ! أرى أنه يتخذ أسلوب ملك ! سيدى ، سوف تتوجس أسرتك عليك خيفة ٠

(يجذبها سالتا باديل من ذراعها ، ويومىء اليها بأشارة)

الملك : ليس لى بنت ولا جد ٠ ولست حريصا على شىء ٠

سالتا باديل : (محدثا نفسه) هذا من حسن الحظ !

(يهطل الغيث مدرارا ويوغل الليل)

الملك : (مخاطبا سالتا باديل) ستنام ياعزيزى فى الحظيرة مع الشيطان حيثما تشـــاء ٠

سالتا باديل : (محييا) شكرا !

ماجيلون : (مخاطبة الملك فى صوت خافت حاسم وهى توقد المصباح) انصرف !

الملك : (هاتفا فى مرح) لقد هطل المطر ، ولا أخالك تودين أن أنصرف فى جو لا يلقى فيه الى الطريق بشاعر !

(يمشى الى النافذة ويتطلع منها)

سالتا باديل : (مخاطبا ماجيلون فى همس وهو يريها الدنانير الذهبية فى راحته) دعيه يبقى هاهنـــا ! عشرة دنانير من ذهب ، ثم عشرة أخرى حين ينتصف الليـــل ! (مخاطبا الملك فى أدب وترحاب) سيدى ، يسعدنى كل السعادة أن أقدم اليك الليلة غرفتى ٠

الملك : (ضاحكا) حيث يشوى المرء فى يوليه ويتحول الى ثلج فى ديسمبر٠ أليس كذلك ؟

سالتا باديل : أيريد سيدى أن يراها ؟

الملك : لندى ٠

(يتناول سالتا باديل المصـــباح ٠ يهمس الملك بكلمتين فى أذن ماجيلون وهو يضحك ، ثم يصعد الدرج المؤدى الى الطابق العلوى يتقدمه سالتا باديل) ٠

ماجيلون : (وحدها) ما أتعسه من شاب !

(متجهة صوب النافذة) رباه ! ما أشد حلكة الليل !

(من الكوه يبين الملك وسالتا باديل وهما فى البرج) ٠

سالتا باديل : (مخاطبا الملك) سيدى ٠ هذا هو الفراش ٠ وهاك المقعد ثم المنضدة ٠

الملك : ما عدد أرجلها جميعا ؟

(يتطلع الملك على التوالى الى السرير ثم المنضدة ثم المقعد) ثلاثة ، ستة ، تسعة ٠ هذا شىء عظيم ! لعلك يا عزيزى قد أتيت باثاثك من موقعة « مارينيان » ٠ أثاث كله أعرج !

(مقتربا من الكوة المكسور زجاجها) وينام المرء هكذا فى العراء دون ثمة زجاج أو خشب ٠ محال أن تستقبل الريح ـ حين تلتمس الدخول ـ بمزيد من الحفاوة والترحاب ! (مخاطبا سالتا باديل)

وقد أوقد الأخير مصباحا ساهرا وضعه على المنضدة) طاب مساؤك !

سالتة باديل : ليحفظك الله !

(يخرج ويلطم الباب ثم يهبط الدرج متثاقلا)

الملك : (وحده وهو يفك حميلة سيفه) أواه ! كم أنهكنى التعب ، لأحاولن النعاس قليلا حتى يحين الحين ٠

(يلقى على المقعد بقبعته وسيفه ويخلع نعليه ثم يستلقى على الفراش) ما أنضر ماجيلون ، ويالها من فتاة رشيقة القد تنبض حياة ! (ناهضا) لعله ترك الباب مفتوحا ! نعم ٠ حسنا فعل ٠ (يعود للرقاد وسرعان ما يغط فى نومه ٠ ماجيلون وسالتا باويل معا فى القاعة السفلى ٠ تفجرت العاصفة منذ قليل فاجتاح الطبيعة برق ومطر ، والرعد يسمع دويه فى كل لحظة ٠ تجلس ماجيلون بالقرب من الخوان وفى يدها ما تحيكه ، بينما يفرغ أخوها فى جوفه بتؤدة زجاجة الخمر التى تركها الملك ٠ يلوذ كلاهما برهة بالصمت وكأنما تهمهما فكرة خطيرة) ٠

ماجيلون : (فى حسرة) ما أروع هذا الشاب !

سالتا باديل : انى أرى ما ترين ! فهو يضفى على جيبى عشرين دينارا من ذهب ٠

ماجيلون : كم ؟

سالتا باديل : عشرون دينارا ٠

ماجيلون : انه يساوى أكثر من هذا القدر ٠

سالتا باديل : اصعدى يا صغيرتى لترى ان كان قد نام ٠ وان كان يحمل سيفا فآتنى به ٠

(تصدع ماجيلون بما أمرت ٠ العاصفة على أشدها ، تظهر بلانش فى مؤخرة المنظر مرتدية ملابس الرجال ، زى فارس بحذائه الطويل ومهمازه ، وكلها سوداء ٠ تمضى فى بطء الى الوكر ، بينما يعاقر سالتا باديل الخمر وحده ، أما شقيقته ففى البرج تتأمل فى ضوء مصباحها الملك النائم) ٠

ماجيلون : (دامعة العينين) ما أعظم الخسارة !
(تأخذ سيفه) انه نائم ٠ ما أشقاه من فتى !
(تهبط الدرج عائدة بالسيف الى أخيها) ٠

المشـهد الخامس

الملك نائم فى البرج ـ سالتا باديل وماجيلون فى القاعة السفلى بلانش فى الخارج ٠

بلانش : (عائدة بين غلائل الظلام بخطى ثقال على هدى وميض البرق بينما يستمر دوى الرعد) هذا شىء فظيع ! يا الهى لقـد طـار صوابى ! سوف يقضى الليلة فى الدار ذاتها ٠ ألا اننى دانية من اللحظة الحاسمة ٠ اغفر لى يا أبتاه ، لقد عصيتك بعودتى الى هذه البقعة فى غيابك ، فلا طاقة لى على الوفاء بوعدى ٠

(تقترب من الدار) ترى ماذا يحدث ؟ وعلى أى صورة ستكون الخاتمة ؟ انى لأرى نفسى وقد زج بها فجأة فى خضم أحداث رهيبة وأنا التى عشت فيما مضى فتاة مسكينة خبيئة بين الزهر ، لا أعلم شيئا عن الألم أو الدنيـا أو تصـــاريف الدهر ٠ واحسرتاه على عفتى وهنــاءتى ؟ لقد أمست جميعـا أطـلالا ، وأرى كل ما حول يتشح بالحداد ٠ ألا ان الحب لا يختلف فى قلوب ومض فيها سناه سوى رماد يبقى من بعده ! ولقد بقيت من تلك النـــار الجارفة ذرات من رماد ! أواه ، لم يعد مقيما على حبى ! (تبكى بحرقه وترفع رأسها) خلت منذ برهة أننى أسمع عبر فكرى دويا ! أظنه الرعد كان يدوى فوق رأسى ٠ يالها من ليلة رهيبة ! ألا ان المرأة لا تحجم فى يأســـها عن أى شىء حتى لو كانت مثـلى تخشى من خيالهـا !

(تلمح فى الدار ضوءا) آه ، ترى ما الذى يجرى هناك ؟

(تتقدم ثم تتراجع) رباه ! اننى أشـعر بقلبى ينقبض فى هذه البقعة ، وأخشى أن تكون مسرحا لمصرع أحد !

(يواصل سالتا باديل وماجيلون حديثهما في الغرفة المجاورة) ٠

سالتا باديل : ياله من جو مكفهر !!

ماجيلون : رعد وأمطار ٠

سالتا باديل : نعم ٠ لابد قد نشب شجار فى السماء بين زوجين أحدهما يعنف والآخر يبكى ٠

بلانش : لو علم أبى الآن مكانى !

ماجيلون : أخى !

بلانش : (منتفضة) سمعت من يتحدث ٠

(تتجه واجفة صوب الوكر وتسترق السمع وتختلس النظر من شق فى الجدار) ٠

ماجيلون : أخى !

سالتا باديل : ماذا ؟

ماجيلون : أو تدرى فيم أفكر ؟

سالتا باديل : كلا ٠

ماجيلون : حزر

سالتا باديل : فى الشيطان !

ماجيلون : ان هذا الشاب لأبهى ماتكون الطلعة ، مديد القامة ، أبى شهم على غرار أبوللو وهو فوق ذلك وسيم ومدلل ٠ انه متيم بى ٠ انه ينام فى براءة يسوع الطفل ٠ حرام أن نقتله ٠

بلانش : (مرتعدة مما رأت وسمعت) يا للسماء !

سالتا باديل : (يجذب من الخزانة غرارة عتيقة من نسيج القنب وكتله من حجر ، ثم يقدم الغرارة لماجيلون فى جفاء) ٠

ارتقى فى الحال هذه الغرارة العتيقة ٠

ماجيلون : ولماذا ؟

سالتا باديل : لأضع فيهـا جثة معبودك أبولنو ، مثقلة بهـذا الحجر ، حالما أجهز عليه فى الطابق العلوى ، ثم ألقى بها فى الماء ٠

ماجيلون : ولكن ٠٠٠

سالتا باديل : ماجيلون ! لا تقحمى نفسك فى هذه الأمور .

ماجيلون : اذا ...

سالتا باديل : اذا استمعت اليك فلن أقدم على قتل انسان . ارتقى الغرارة !

بلانش : من هذان المخلوقان ؟ أترانى أشهد جهنم ؟

ماجيلون : (عاكفة على رتق الغرارة) سمعا وطاعة . ولكن دعنى أتحدث اليك .

سالتا باديل : لك ذلك .

ماجيلون : أتضمر فى نفسك حقدا على هذا الفارس ؟

سالتا باديل : أنا ؟ كيف ذلك ؟ انه ضابط وأنا أحب رجال السيف لأننى منهم .

ماجيلون : أتقتل شابا جميلا ، يبدو أنه ليس من العامة ، من أجل أحدب شرير بعيج القوام ؟

سالتا باديل : لقد قبضت باختصار عشرة دنانير مقدما من رجل أحدب لقاء قتل رجل جميل ، والأمر عندى سواء ، وسوف أتقاضى عشرة أخر حين أسلم الجثة ، فلابد اذن من تسليمها اليه . هذا أمر واضح كالشمس .

ماجيلون : فى استطاعتك أن تقتل القزم حين يعود حاملا اليك النقود . والنتيجة واحدة .

بلانش : لهفى عليك يا أبتاه !

ماجيلون : أقبلت ؟

سالتا باديل : (محدقا فى وجه ماجيلون) تبا لك ! ما ظنك بى يا أختاه ؟ أترييننى سفاحا أو لصا حتى أقتل عميلا ينقدنى الأجر؟

ماجيلون : (مشيرة الى كتلة من الخشب) حسنا ! ضع فى الغرارة كتلة الخشب هذه ، وسوف يحسبها فى الظلام غريمه .

سالتا باديل : هذا منتهى الغفلة . كيف تريدين أن يحسب كتلة الخشب جثة ، والكتلة جامدة صماء ، جافة صلبة ، ليس فيها حياة ؟

بلانش : ما أقسى برودة المطر !

ماجيلون : سألتك الرحمة به !

سالتنا باديل : أهذه أغنية ؟

ماجيلون : حنانيك يا أخي !

سالتنا باديل : أخفتي صوتك ! لابد من قتله ! وعليك الآن أن تصمتي .

ماجيلون : (غاضبة) لا أريد له الموت ! سأوقظه وأهيىء له سبيل الفرار .

بلانش : بوركت من فتاة !

سالتنا باديل : والدنانير الذهبية العشرة ؟

ماجيلون : هذا صحيح .

سالتنا باديل : والآن كوني عاقلة يا صغيرتي ودعيني أعمل .

ماجيلون : كلا ، انني أريد نجاته !

(تقف ماجيلون بادية العزم والأصرار في أسفل الدرج لتسد في وجه أخيها الطريق . واذ يستسلم سالتنا باديل أمام عنادها يعود أدراجه الى مقدمة المسرح ويبدو كمن يفتش في قريحته عن مخرج) .

سالتنا باديل : لنرى في الأمر . سيعود صاحبنا للقائي عند منتصف الليل ، فحتى ذلك الحين ، ان طرق بابنا ثمة عابر يطلب الأيواء سأنقض عليه وأقتله ، ثم أضعه في الغرارة بديلا عن محبوبك ، ولن يدرك صاحبنا من الأمر شيئا . سيرقص طربا بفريسته في الليل البهيم ، وحسبه أن يلقي في اليم بأي انسان أو جماد . هذا ما أقدر عليه ابتغاء مرضاتك .

ماجيلون : شكرا . ولكن أي شيطان تظن أن يمر بنا ؟

سالتنا باديل : هذه هي الوسيلة الوحيدة لانقاذ فتاك ؟

ماجيلون : في مثل هذه الساعة من الليل ؟

بلانش : رباه ! انك تزين لي الموت وتريده لي ! ليت شعري أينبغي علي أن اجتاز هذه الخطوة من أجل هذا الجاحد ؟ لا . انني مازلت في ميعة الصبا ! رباه ! لا تدفعني الى الموت دفعا .

(يدوي الرعد)

ماجيلون : نذرت لئن وفد الينا ثمة رجل فى هذه الليلة الليلاء لاغترفن البحر فى سلتى !

سالتا باديل : وان لم يأت أحد ففتاك الجميل ميت لا محالة ٠

بلانش : (مرتعـدة) يا للهول ! أأنادى العسس ؟ ولكن لا ٠ ان الكل نيام ، وفى وسع هذا الرجل أن يشى بى ٠ ولكنى لا أريد الموت ، فلى رسالة كبيرة ، على أن أرعى أبى وأسرى عنه ٠ ألا ان موتى ولم أبلغ السادسة عشر ربيعا ليثير فى النفس الهلع ! اننى لا أقوى على احتماله ! رباه ! أينفذ السيف فى قلبى الا ٠٠ (تدق الساعة دقة واحدة) ٠

سالتا باديل : دقت الساعة المجاورة يا أختاه ٠
(دقتان أخريان) لقد دقت الثانية عشرة الا الربع ، ولن يفد الينا أحد قبل انتصاف الليل ٠ أتسمين صوتا فى الخارج ؟ لابد لى من انجاز المهمة على أية حال ٠ وليس أمامى سوى ربع الساعة ٠
(يضع قدمه على الدرج ، فتصده ماجيلون وهى تنتحب)

ماجيلون : تريث قليلا يا أخى ٠

بلانش : ماذا أرى ؟ أتبكى هذه المرأة ، بينما أقف جامدة وفى استطاعتى انقاذه ؟ انه لم يعد يحبنى ومن ثم ليس أمامى من سـبيل سوى الموت ٠ حســنا ، لأموتن من أجله ٠ (فى شىء من التردد) ان الأمرين سواء ٠ كليهما فظيع !

سالتا باديل : (مخاطبا ماجيلون) لا ٠ لن أستطيع الانتظار الى النهاية ٠ هذا مستحيل ٠

بلانش : أواه ، ليتنى أدرى كيف سيصرعوننى ، وهـل ســتؤلمنى ضربتهم ! ترى هل يصيبوننى فى جبينى أو فى وجهى ٠٠٠ رباه !

سالتا باديل : (فى محاولة للخلاص من ماجيلون فتوقفه) ماذا تريدين منى أن أفعل ؟ أيدور بخلدك أن يأتى الآن من يحل محله ؟

بلانش : (مرتعدة من برد المطر) لقد جمد الدم فى عروقى !

(متجهة الى الباب) هيا ! (متوقفـة) أأموت والبرد يسرى فى أوصالى ؟ (تجر قدميها مترنحة الى الباب وتطرقه طرقا خفيفا) ٠

ماجيلون : هناك من يطرق الباب ٠

سالتا باديل : هذا تصفيق الريح فى السقف ·

(تطرق بلانش الباب مرة أخرى)

ماجيلون : هناك من يطرق الباب

(تهرول وتفتح الكوة ثم تتطلع منها الى الخارج)

سالتا باديل : شيء غريب !

ماجيلون : (مخاطبة بلانش) من بالباب ؟

(مخاطبة سالتا باديل) انه شاب ·

بلانش : أريد المبيت الليلة ·

سالتا باديل : سينعم بسبات عميق !

ماجيلون : أجل · وستطول بنا السهرة ·

بلانش : افتحوا ·

سالتا باديل : (مخاطبـــا ما جيلون) تمهلى برهة ! اعطنى مـــديتى لأشحذها قليلا · (تعطيه المدية فيشحذها على حديد مجز)

بلانش : ياللسماء ! أسمع خشخشة مدية يشحذونها معا !

ماجيلون : ما أتعسه من شاب ! انه يطرق باب قبره ·

بلانش : ان فرائصى ترتعد · ماذا ؟ أفى طريقى الى الموت ؟

(جاثية على ركبتيها) اللهم وانى للقاء وجهك آتية ، اغفر لكل من أساء الى ، ثم أسألك ياربى كما أسألك يا أبى أن تغفرا اهم أيضا · اغفرا للملك فرنسوا الأول ، من أهيم به وأرثى له · اغفرا للخلق طرا ، حتى للشيطان ، حتى لهذا الملعون الذى يتربص بى هنا فى الظلام رافعا نصله · اننى أهب حياتى فداء لغادر ، فلئن طابت بها سعادته فلينسنى ، وليطل الله فى عمر من آفدى ، رافلا فى نعيم لا يبلى أبدا !

(ناهضة) لابد أن الرجل قد استعد !

(تطرق الباب مرة أخرى) ·

ماجيلون : (مخاطبة سالتا باديل) هيا · عجلى · انه يتململ ·

سالتا باديل : (مجربا نصله على الخوان) حسنا · انتظرى حتى أهيىء نفسى وراء الباب ·

بلانش : رباه ! اننى أسمع كل ما يقول ·

(يقف سـالتا باديل خلف البـاب بحيث يحجبه حين ينفتح الى الداخل عن الشخص القادم ولا يحجبه عن أعين النظارة) ·

ماجيلون : (مخاطبة سالتا باديل) أنا فى انتظار اشارتك ·

سالتا باديل : (من وراء الباب والمدية فى يده) افتحى !

ماجيلون : (تفتح الباب لبلانش) أدخل !

بلانش : (محدثة نفسها) يا للســـماء ! سـيدا همنى شر مستطير ! (تتراجع)

ماجيلون : وبعد ، علام انتظارك ؟

بلانش : (محدثة نفسها فى فزع) يالله ! أرى الأخت تساند أخاها · اغفر لهما يارب ، واغفر لى يا أبى !

(تدخل · واذ تظهر على عتبـة الوكر ، يرى سالتا باديل رافعـا خنجره ، ويسدل الستار) ·

الفصل الخامس

تريبوليه

المنظر ذاته ، ولكن حين ينفرج الستار يرى وكر سالتا باديل وقد أغلق تماما عن الابصار· تبدو الواجهة الأمامية بنافذات خشبية لا ينبعث منها أدنى ضوء · ويخيم الظلام على المنظـــر جميعه ·

المشـهد الأول

تريبوليه : (وحده ، يتقدم من المؤخرة فى بطء ، ملتفا بمعطفه · خفت وطأة العاصفة وانقطع سيل المطر ، ولم يعد يرى سوى ومضات البرق ودوى الرعد يسمع على بعد من حين الى حين · يبدو تريبوليه مستغرقا فى حلم عميق وفى عينيه فرحة مبهمة)

وأخيرا قضى الأمر ! وسأنتقم ! ها قد انقضى الشـهر على ترقبى وانتظارى · أؤدى دور المهرج ، وأخفى ما يعتمل فى قرارة نفسى، واسكب الدمع دما من خلف قناعى الضاحك (يفحص بابا قصيرا فى مواجهة الدار) هذا هو الباب · ما أسعد المرء اذ يصمد ويظفر بثأره ! أعتقد أنه سيحمل الى من هذا الباب ذاته · ان الساعة لم تحن بعد ، ومع ذلك عدت · نعم ، سـأرقب البـاب فى انتظار الموعد · نعم ، هو ذا الباب بعينه (يدوى الرعد) ياله من طقس عبوس ! ويالهـا من ليلة حفلت بالأحاجى والأسرار ! عاصـفة فى السماء ومصرع على الأرض ! كم أشعر بعظمتى ها هنا · لقد سرت الليلة غضبتى العارمة جنبـا الى جنب مع غضبة الله ! وأى ملك أقتل ! أقتل ملكا يدين له عشرون ملـكا آخر ، فى يديه مقـاليد الحرب والسلام ، وعلى كاهله أعباء العالم بأسره · سوف ينكس كل شىء حين يغرب عن الدنيا ! سوف تكون الصدمة قوية مخيفة حين انتزع هذا القطب · وستهز يدى القاذفة بهذه الصدمة ـ الى أمد طويل ـ سائر أوربا الباكية ، وتكرهها على التماس توازنهـا فى زعامة أخرى ! انى لأتخيل قولة الله فى غد للارض : أيتهـــا الأرض ، أى بركان تفتحت فوهته ؟ ومن ذا الذى أثار هكذا المسلم والمســـيحى ! من ذا الذى أثار كليمان ست ودويا وشـــارلكان وسليمان ؟ أى مسيح أو قيصر أو قائد أو رسول قد قلب الدول هكذا رأسا على عقب ؟ أى ساعد يؤرجحك أيتها الارض كما يطيب له ؟ فتجيب الأرض المروعة : انه تريبوليه ! طوبى لك أيها المهرج اللئيم فى عتوك ! ألا ان ثأر المجنون ليزلزل أرجاء العالم ! (بين صخب العاصفة المودعة تسمع من بعيد ساعة تدق منتصف الليل

فيصغى تريبوليه)
انتصف الليل !
(يهرع الى الدار ويطرق الباب القصير) ٠
صوت من الداخل : من بالباب ؟
تريبوليه : أنا
الصوت : حسنا ٠
(تنفتح الشرعة السفلى للباب فقط)
تريبوليه : (منحيا لاهثا) أسرع !
الصوت : لا تدخل ٠

(يخرج سالتا باديل زحفا من السرعة السفلى للباب ٠ ويجـذب من هذه الفتحة الضيقة شيئا ثقيل الوزن ، ربطة مستطيلة الشكل يتعذر فى الظلام تمييزها فهو لا يحمل فى يده مشعلا ولا ينبعث من الدار أى ضوء) ٠

المشـــهد الثانى

تريبوليه ـ سالتا باديل

سالتا باديل : أف ٠ هذا ثقيل ـ أعنى يا سيدى لبضع خطوات ٠

(تغمر تريبوليه فرحة راعشة ، فيمضى ليعينه على حمـــل غرارة طويلة رمادية اللون تحوى الجثة الى مقدمة المنظر) رجلك فى هذه الغرارة ٠

تريبوليه : لنراه ! يا للفرحة ! آتنى بمشعل ٠
سالتا باديل : كلا ٠ بالله !
تريبوليه : ممن تخاف أن يراك ؟
سالتا باديل : القناصة وعسس الليل ٠ يا للشيطان ! لا مشعل ! كفى صخبا وهات النقود !

تريبوليه : (يسلمه الصرة) خذ !

(يفحص الغرارة الممددة على الأرض بينما الآخر يحصى **الدنانير**)
قد تسفر الأحقاد عن بعض المكاسب !

سالتا باديل : هل لى أن أعينك على القائه فى نهر السين ؟

تريبوليه : سأتكفل بذلك وحدى ·

سالتا باديل : (فى اصرار) لنحمله سويا ، وبهذا يقصر الطريق ·

تريبوليه : اننى لا أحس بثقل عدو أواريه الثرى ·

سالتا باديل : لعلك تقصد أن تقول نهر السين ؟ حسنا ، كما ترى يا سيدى ·

(متجها الى نقطة على الجسر) لا تلق به من هنا ، فهذا مكان لا يصلح
(مشيرا الى ثغرة فى الجسر) هنا ، فهذه بقعة بعيدة الغور ·
عجل ، طاب مساؤك ·

(يعود أدراجه الى الوكر ويوصد الباب خلفه)

المشهد الثالث

تريبوليه : (وحده محدقا فى الغرارة) انه هنا ! ميت ! وان كنت أود ألا أراه ·

(يتحسس الغرارة) الأمر عندى سواء ، انه هو بعينه · انى أحس به من خلف الغلالة ، وهذا مهمازة يخترق القماش · انه هو بعينه !

(ينهض ثم يضع قدمه على الغرارة) والآن ، اشهدنى أيها العالم، هأنذا المهرج ، وهذا هو الملك · وأى ملك ! سيد الملوك طرا وأرفعهم شأنا ! ها هو ذا فى قبضتى وتحت قدمى ! انه هو بعينيه ! سيكون له « السين » لحدا وهذه الغرارة كفنا · ومن قام بهذا ؟

(عاقدا ذراعيه) حسنا ! أنا وحدي ـ كلا ، انني ما حققت هذا النصر لتأبى الأقوام في غد أن تصدقه · ترى ما الذى سيردده المستقبل ؟ وأى ذهول سيعترى الشعوب على اثر هـذا الحادث ! اشهد أيها القدر ـ وأنت موجدنا في هذه الدنيا ومخرجنا منها ـ أن واحدا من أعلى الملوك قدرا ومن هو ؟ انه فرانسوادى فالوا ، القلب النارى ، غريم شـارلكان ، ملك فرنسا ؛ أنه من الخلود قريب ، كساب المعارك من تداعت تحت أقدامه دعائم الحصون · (يدوى الرعد بين الفينة والفينة) بطل واقعة « مارينيان » ، من ظل طوال ليلة يصيح في كتائبه ، ويرفع بها الواحدة تلو الأخرى الى سـاحة الوغى ، حتى اذا ما تنفس الصـبح لم يبق بين يديه الممزوجتين بالدماء سوى مقاتلين ثلاثة · أشهد أيها القدر ان هذا الملك الذى قلدته الدنيا وسام المجد سيغرب بغتة عنها ، وانه حمل فجأة وهو في أوج سلطانه ، بقضه وقضيضه ، وبين بطانته التى تحرق له البخور ، حملته يد مجهول في ليلة راعدة كما يحمل وليد سفاح ! ماذا اقول ؟ لقد أصبح هـذا القصر وهذا الجيل وهـذا الحكم دخانا في الهواء ، وخبا واندحر وذهب أدراج الرياح هذا الملك الذى تفتحت عيناه على فجـر وضىء ! لقـد لاح ثم اختفى كواحد من هذه البروق ! وقد يمضى في غد المنادون ، ذارعين المدائن عبثا ، يصيحون بالمارة الذين أذهلتهم المفاجأة ، ويشـيرون اليهم بأطنان الذهب :

هذا حلال لمن يعثر على الملك الضائع ! ياله من مشهد رائع !
(بعد فترة سكون)

أى بنيتى الملتاعة ! لقد نال جزاءه الأوفى ومن ثم تحقق لك الثأر منه ! ليت شعرى ، كنت أتوق الى اراقة دمه والى قدر من الذهب، وها أنذا قد ظفرت بهما !

(ينحنى على الجثة في سورة غضب) ·

أيها الفاجر ، أتستطيع أن تسمعنى ؟ لقد حسدتنى على ابنتى التى تفوق تاجك قيمة وقدرا ، والتى لم تسىء قط الى أحد من البشر ، فسلبتها منى ثم أعدتها الى ـ وياللهول ـ موصومة بالعار والشقاء ! حسنا · خبرنى ، أتسمعنى ؟ لقد تبدل الحال غير الحال · نعم ، أنا الآن هنا ، أنا الذى أضحك وأنتقم ! كنت في غفلة عنى لأننى

تظاهرت بنسيان ما جرى ! كنت تؤمل فى تسـامحى معتقدا أن غضبة الأب تقلع أنيابها فى سهولة ويسر ! كلا ، ففى هذا الصراع الذى شب بيننـا قد انعقد لواء النصر للضعيف وهذا لذى كان بالأمس يلعن قدميك ينخر الآن قلبك ! ألا انك الآن فى قبضتى ٠ (يزيد انحناءه على الغرارة) أتسمعنى ؟ أنا الذى أحدثك أيهـا الملك الهمام ٠ أنا ذلك المجنون المهرج ، أنا شبه الرجل ، أنا ذلك الحيوان المريب الذى كنت تسميه كلبا (يركل الجثة) أرأيت الى الثأر يتأجج فى النفس فلا تنام عنه أشد القلوب مواتا ؟ يضخم الهزيل ، ويتبدل الشرير ، ويشهر العبد حقده من غمده ٠ ويغدو القط نمرا والمهرج جلادا !

(ينهض الى منتصف قامته) ليته يستطيع أن يسمع كلماتى دون أن يتحرك !

(ينحنى مرة أخرى) أتسمعنى ؟ اننى أمقتك ! امض الى مثـواك الأخير فى أعمـاق النهر ، وانظر ان كان ثمـة تيار يجـرفك الى سان دنيس !

(ناهضا) الى اليم يا فرنسوا الاول !

(يمسك الغرارة من طرفها ويجذبها الى الشاطىء ، واذ يضعها على الجسر ينفرج باب الوكر بحذر وتحرج منه ماجيلون ٠ تنظر من حولها بقلق تومئى بإشـــارة من لايرى شيئا ٠ تعود الى الوكر ثم تظهر بعد لحظة بصحبة الملك ، تشرح له بالاشارة أن الطريق خال ومن ثم يستطيع الانصراف ، ثم تعود أدراجها وتوصد الباب٠ يسير الملك الى الساحل فى الاتجـاه الذى رسمته له ماجيلون فى اللحظة التى يتأهب فيها تريبوليه لالقاء الغرارة فى نهر السين)٠

تريبوليه : (ويده على الغرارة) هيا !

الملك : (يغنى فى المؤخرة) كثيرا ما تكون المرأة قلبا !

ومن يثق بها فهو مجنون !

تريبوليه : (منتفضا) أى صـوت اسـمع ؟ ماذا ؟ أتلهو بى هواجس الليل ؟

(يتلفت ويرهف السمع فى ذعر ٠ يختفى الملك ولكن يسمع من بعيد غناؤه)

صوت الملك : كثيرا ما تكون قلبا !
ومن يثق بها فهو مجنون !

تريبوليه : يا للعنة ! ليس هو من فى قبضتى · لقد زينوا له الهرب ، وثمة امرىء حماه · لقد خدعت !

(يهرع الى الوكر فيجده موصدا ما عدا النافذة العليا فهى مفتوحة)
سفاح !

(يقيس بنظره الارتفاع ، كأنما يريد أن يتسلق الى النافذة)
ما أعلى النافذة !

(عائدا الى الغرارة فى سخط) ولكن من هذا الذى وضعه الغادر بديلا عنه ؟ ترى أى برىء ؟ اننى أرتعد ··

(يتحسس الغرارة) نعم · هذا جسم انسان ·

(يمزق بخنجره الغرارة من أعلاها الى أسفلها ويتطلع بلهفة الى ما بداخلها) لا أستبين ما بداخلها · يا له من ظلام دامس !

(يتلفت شاردا) ماذا ؟ ما من أحـد فى الطريق وما من شىء فى الدار !

أما من مشعل ينير ؟
(متكئا فى يأس على الجسد) لانتظرن البرق ·
(يظل لحظة وعينه مثبتة على القرارة المفتوحة وقد برزت منها — بلانش الى منتصفها)

المشـهد الرابع

تريبوليه ـ بلاش

تريبوليه : (يومض البرق فينهض ، وسرعان ما يتراجع ويطلق صرخة مسعورة)

ابنتى ! يا الهى ! ابنتي ! ابنتى ! اشهدى أيتهـا الأرض وأنت أيتها السماء ! هذه ابنتى !

(يجس يدها) رباه لان يدها ندية ! دم من هذا ؟ ابنتى أسائلك ، لقد طار لبى ! ياله من حادث مروع ! كلا ، انها محض أوهام! آه كلا ، هذا ضرب من المحال . لقد رحلت وفي طريقها الآن الى «افرو» .

(يجثو على ركبتيه قريبا من الجسد ويرفع عينيه الى السماء) رباه ! أو ليست هذه أضغاث أحلام ، وانك حافظ ابنتى تحت جناحك ، وهي ليست من أرى يا رباه ؟

(يمرق البرق مرة أخرى فيلقى ضوءا قويا على وجه بلانش الشاحب وعينيها المغمضتين) نعم ، انها هى ! هى بعينها !

(يرتمى على جسدها وينشج بالبكاء) ابنتى ! طفلتى ! أجيبى ! خبرينى هل قتلت ؟ أواه ! أجيبى ! يا لسفكة الدماء ! هل من بشر هاهنا يا رب غير تلك الأسرة الراعبة ؟ حدثينى ! حدثينى يا ابنتى ! أيها السماء ! ابنتى !

بلانش : (تفتح مقلتيها بعض الشىء كأنما قد أفاقها صراخ أبيها ، وتقول فى صوت واهن) من ينادينى ؟

تريبوليه : (مذهولا) انها تتكلم ! انها تتحرك بعض الشىء ! ان قلبها ينبض وعينها تتفتح ! انها لا تزال حية ! رباه !

بلانش : (تهم الى منتصف قامتها ، فتبدو فى قميص ملطخ بالدم شعثاء الشعر ، أما أسفل الجسد فمستور بالملابس .. محتجب داخل الغرارة) أين أنا ؟

تريبوليه : (يرفعها بين يديه) أى طفلتى وكل متاعى فى هذا الكون ! أعرفت صوتى ! أتسمعيننى ؟ تكلمى !

بلانش : أبتاه ! ..

تريبوليه : بلانش ، ماذا فعلوا بك ، وأى سر رهيب هذا ! أخشى أن تتألمى اذ أمسك . انى لا أرى ما بك . ابنتى . أبك جراح ؟ قيدى يدى !

بلانش : (فى صوت متقطع) لقد طعنت .. انى واثقة .. فى قلبى . لقد أحسست ..

تريبوليه : ومن سدد هذه الطعنة ؟

بلانش : آه ، أنا المخطئة ٠٠ وانى خدعتك تولهت فى حبه ٠٠ وأموت من أجله ٠

تريبوليه : ياله من قدر لا ينضب معين حقده ! لقد صرعت فى ثارى ! ويلاه ! هـــذا بلاءمن الله ! ابنتى ٠ كيف اصـــبت ؟ فسرى لى ، تكلمى !

بلانش : (محتضرة) لا تحثنى على الكلام !

تريبوليه : (يغمرها بقبلاته) غفرانك يا ابنتى ! ولكن ، أأفقدك دون أن أعلم كيف فقدتك ؟ أواه ! ان رأسها يميل !

بلانش : (تتحامل على نفســها لتعتدل فى رقدتهــا) أواه ! على الجنب الآخر ! اننى أختنق !

تريبوليه : (يرفعها ويهتف فى ســعر) بلانش ! بلانش ! لا تموتى ! (ملتفتا فى يأس) النجدة ! أى انسان ! ما من أحد هنا ؟ أتترك ابنتى تموت هكذا ؟ آه ٠ ان جرس الغليون هناك فى الجدار ــ أى طفلتى المسكينة ! هل لك فى انتظارى قليلا حتى أمضى فأحضر لك جرعة ماء وأقرع الجرس كلما يخف الينـــا أحـد ؟ لحظـة واحدة ! (تومىء اليه بلانش بعبث ما يصنع) أترفضين ؟ ولكن هـــذا ضرورى (مناديا دون ان يتركها) يا قوم ٠ (يخيم على المكان سكون عميق والدار على حالها واجمة فى الظلام) هذه الدار يارب ليست سوى مقبرة ٠

(تعالج بلانش سكرات الموت) ويلاه ! لا تموتى ! أى طفلتى ، انت ذخرى انت حمامتى الوديعة لئن مت فلن يبق لى فى الوجود شىء رحماك لا تموتى ٠

بلانش : أواه ! ٠٠

تريبوليه : ان ساعدى لا يريحك ، أليس كذلك ؟ انك تتململين منه ٠ تمهلى حتى أغير من جلستى ٠ أمرتاحة هكذا ؟ حنانيك ! حاولى أن تبقى على أنفاسك حتى يخف لنجدتنا أحد ! ما من نجدة ؟

بلانش : (فى جهد جهيد وصوت هامس) اغفر له يا أبتاه ٠٠ وداعا (يهوى رأسها) ٠

تريبوليه : (يشد شــعر رأسه) بلانش ! ويلاه ! انهــا تلفظ النفس الأخير !

(يهرع الى جرس الغليون ويهزه فى سخط) يا للغوث! الجريمة ! الثأر ! (عائدا الى بلانش) حاولى أن تكلمينى كلمة ! كلمة واحدة! حنانيك ! كلمينى ! (يسعى الى انهاضها) لم تريدين أن تظلى هكذا منطوية الجسد ؟ ستة عشر ربيعا ! لا ، هذا عمر قصير ! أواه الا ، انك لم تموتى ! أى بلانش ، أهان عليك أن تفارقى أباك على هذا النحو ؟ أقدر لى ألا أسمع الى الابد صوتك ؟ لم يا الهى ؟ (يهرع لفيف من الناس الى مصدر الصراخ وفى أيديهم المشاعل) كانت السماء خالية من الرحمة حين منحتنى اياك ! لم لم تستردك ايتها المسكينة قبل ان تشهدنى جمال نفسك ؟لم تركتنى أعرف ذخرى ؟ وا أسفاه ! ليتك مت وأنت طفلة ، يوم أصابك الفتية بجراح وأنت تلعبين !

لهفى على ابنتى وفلذة كبدى !

المشــهد الخامس

نفس الأشخاص ـ رجال ونساء من العامة

امرأة : انكلامه يقطع نياط القلب !

تريبوليه : (ملتفتــا) آه ، هأنتم أولاء قدمتم الآن ! فى هذه اللحظة الحاسمة !

(يمسك بخناق حوذى يحمل سوطا فى يده) ألديك خيل وعربة ؟ تكلم !

الحوذى : نعم . كم يهزنى بعنف !

تريبوليه : نعم ؟ حسنا ، خذ رأسى وضعه تحت عربتك !

(يعملون على ابعاد تريبوليه فيقاومهم)

واحد من الكهنة : أرى قتيلة وأبا منكودا ! لزام أن نفصـــل بينهما .

(يعملون على ابعاد تريبوليه فيقاومهم)

تريبوليه : أريد أن أبقى ! أريد أن أراها ! التي لم آتي اليكم حتى تأخذوها مني ! انني لا أعرفكم من قبل - ألا تشفقون لي ؟

(مخاطبا احدى النسوة) سيدتي ، أراك تبكين ، يالك من امرأة طيبة ! قولي لهم ألا يبعدونني .

(تشفع له المرأة فيدنو من بلانش ويجثو على ركبتيه)

لتركع أيها الشقي . ولتمت بجوارها !

المرأة : هدئ من روعك ، فلئن أمعنت في الصراخ فسيقودونك .

تريبوليه : (شاردا) لا ، لا . دعوني !

(يحتضن بلانش بين ذراعيه) أعتقد أنها مازالت تتنفس ! انهـا بحاجة الى ! أسرعوا الى المدينة وآتوني بنجدة . دعوها بين ذراعي وبهذا يهدأ روعي .

(يحملها على صدره كما تحمل الأم طفلها النائم) كلا . انها لم تمت ! ان الله لا يريد لها الموت ، فهـو عليم بأن ليس لى تحت عرشه سواها . ان الناس جميعا تمقت الاشـوه وتشـيح عنه ، ولا يحس انسان ببلواه أما هى فقد أحبتنى ! انهـا بهجتى فى الحياة وسندى . ان سخر مني أحد بكت معى . أيطوى الردى هذا الحسن الرائع ؟ كلا . أعطونى ما أمسـح به جبينها . (يمسح جبينها) ان شفتيها لا تزال بلون الورد . آه ليتكم رأيتموها ! انني أتمثلها الآن فى خاطري وهي طفلة في عامها الثاني بشعرها الذهبى ! نعم ، لقد كانت حينذاك شقراء ! (يضمها الى صـدره فى لهفة وحنان) لهفي عليك أيتها الشهيدة المسكينة ! لهفي على سعادتي وفتاتي الحبيبة !

(يهدأ قليلا ويتطلع اليها) كنت أحملها هـكذا وهي بعد طفلة ، وكانت تنام على صـدرى كمـا تفعل الآن ، حتى اذا صحت آه لو تعلمون أي ملك كانت ! لم أكن أبدو لها شيئا غريبا ، فكانت تبتسم لى بعينيها الملائكيتين ، أما أنا فكنت أقبل يديها الصغيرتين ! يا للحمل الوديع ! لقد ماتت ! لا بل نامت لتستريح منذ قليـل . كانت الحال يا سادتي غير الحال . لقد استيقظت الآن . لمنتظر . سترونها تفتح عينيها . أرأيتم الآن يا سادتي

انني انسان ، رزين وديع ، لا أؤذى أحد ؟ ولما كنت لا أفعل شيئا مما نهيت عنه فلا بأس عليكم أن تدعونى أنظر الى طفلتى ٠

(متطلعا اليها) ليس فى جبينها غضون ، وليس بها من داء قديم ! أرأيتم كيف أدفأت يديها منذ هنيهة بين يدى ؟ فلتتحسسوهما اذن قليلا !

(يدخل الطبيب)

المارة : (هاتفة بتريبوليه) جاء الطبيب !

تريبوليه : (مخاطبا الطبيب وهو يقترب) هيا ٠ تطلع اليهـا فلست مانعك ٠ انها فى اغماءة أليس كذلك

الطبيب : (يفحص بلانش) لقد ماتت ٠

(يشب تريبوليه على قدميه فى تشنج بينما يواصل الطبيب كلامه فى جفاء) فى جنبها الايسر جرح بليغ ، ووقف النزيف أنفاسها ، ومن ثم كانت الوفاة ٠

تريبوليه : ويلاه ! لقد قتلت ابنتى ! قتلت ابنتى !

(يخر صريعا على الأرض)

ستار الختـــام